التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٤٩٩ - السنة الثانية والأربعون رجب ١٤٣٤ هـ

الثمن جنيهان



منزلة الصحابة في الكتاب والسنة



وقفات مع أزمة السلطة القضائية



الإصلاح فريضة شرعية وضرورة حياتية

حكم سداد الأقساط قبل موعدها

حكم البسملة في الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة

د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

التحرير

٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي: q.tawheed@yahoo.com

السلام عليكم

عندما يُظهر المسلم قيمته

مع الهجمات الشرسة للغربيين على الإسلام؛ تصلهم جملة رسائل قوية، لكنها ناعمة حريرية، ذلك أنها تصلهم من خلال ما يحبون ويعشقون: «كرة القدم» مع أن الإسلام ليس فيه وظيفة تسمى: «لاعب».

فقد بدأ الإسلام يفرض نفسه، ويثبت عراقته وجدارته بالتقدير والاحترام، ذلك أنه دين الفطرة.

ففي إنجلترا قامت إدارة أحد الأندية الرياضية ببناء مصلى خاص باللاعبين المسلمين، وكان النادي يضم فرنسيًّا وسنغاليًّا.

وكذلك رفض مسلم إنجليزي المشاركة مع زملائه باحتفال ناديهم حتى لا يحمل الخمر معهم، قائلاً: أنا مسلم.

كما أن لاعبًا دوليًّا من دولة مالي رفض ارتداء ملابس النادي؛ لأن عليها الصليب، فانصاع النادي لرغبته وأعطاه ملابس ليس عليها الصليب.

وفرنسيان مسلمان يغادران منصة احتفال إسبانية يُدار عليها الخمر.

ورفض سنغاليّ محترف في إسبانيا جائزة أفضل لاعب؛ لأنها زجاجة خمر، فاستسلم الاتحاد الإنجليزي لطلبه، وجعل الجائزة زجاجة أعشاب طبيعية بدلاً من الخمر.

وفي احتفال غير إسلامي رفض لاعب وسط ريال مدريد المسلم المشاركة، وقال: أنا مسلم.

نبشركم أيها الأبرار الأخيار، يا دعاة الإسلام الحق ببشرى سيدكم محمد صلى الله عليه وسلم حيث وصف أمثالكم بأنكم أهل إيمان بالله واليوم الآخر، فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدن على مائدة يُدار عليها الخمر».

التحرير

السنة الثانية والأربعون
العدد ٤٩٩ - رجب ١٤٣٤

"في هذا العدد"

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة «حساب رقم ١٩١٥٩٠/»

التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

الإصلاح فريضة شرعية وضرورة حياتية

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله، له الحمد في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فإن السعي في إصلاح البلاد والعباد من مقاصد شريعة الإسلام، وقد أرسى النبي صلى الله عليه وسلم قواعد الإصلاح وضوابطه، وأسس دولة عظيمة، قامت بالحق ونشرت العدل، وعبدت الرب وحده دون سواه، ولكن تغيرت الأحوال بالناس بعد ذلك، واختلت موازينهم، وظهر فيهم ما أخبر به النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ: خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتُلِيتُم بِهِن، وَأَعُوذُ بالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فَشَتْ فِي أَسْلاَفِهِمْ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَمَا مَنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْمَطَرَ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله، وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ يَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ جَعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ». [أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٥٨٣/٤، رقم ٨٦٢٣) وقال: صحيح الإسناد. وحسنه الألباني].

وإني نظرت في أحوال أُمتنا، فوجدت ألوانًا من الفساد تحتاج إلى دعوة كبيرة يقوم بها المصلحون وفق منهج الأنبياء والمرسلين، لا كما يزعم البعض اليوم من أنه يريد الإصلاح وهو رأس الفساد والضلال.

وقد زعم فرعون قديمًا أنه يخاف على قومه من كليم الله موسى - عليه السلام - فقال: «إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ» [غافر: ٢٦]. ومارس المنافقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ألوان الفساد، وزعموا أنهم هم المصلحون، «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ» [البقرة: ١١- ١٢].

الإصلاح مشروط بالمنهج الرباني:

ولذلك فإني أوضح هنا أن الإصلاح لا يكون إلا إذا قام على المنهج الرباني. يقول الشيخ/ محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر الأسبق): «لما كانت الأنظار تقتصر، والأهواء تتغلب، والعقول تتفاوت وتختلف، اشتدت حاجة الناس إلى مصلح إلهي، يطلق نفوسهم من كيد الأوهام، ويهديهم السبيل إلى ما فيه خيرهم، وينذرهم عاقبة الانهماك في اللذائذ، ويعلمهم كيف يتحامون الفتنة إذا اختلفوا، هذا وجه من حكمة بعثة الأنبياء - عليهم السلام- وصعودهم بالناس إلى مراقي السعادة، وإقامتهم القضاء على

أسس عادلة، فبهذه الدعوة الإلهية لبست النفوس أدبًا صافيًا، وأخذ المجتمع سنة منتظمة، وبصرت العقول بحقائق كانت غامضة». [الدعوة إلى الإصلاح ص٣٢].

الدعوة إلى الإصلاح الشامل:

والله تبارك وتعالى قد أمر بالإصلاح، ونهى عن الفساد، وبعث رسله بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأخبر عن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه: «وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» [هود: ٨٨]، ومنه نستفيد أن الإصلاح لا يكون بغير توفيق الله، وأن أي إصلاح أو تغيير مخالف لأمر الله وهدي رسوله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم ليس إصلاحًا على الحقيقة، كما قامت دعوة الأنبياء والمرسلين- عليهم السلام- والصالحين المصلحين من أتباعهم على الدعوة إلى الإصلاح الشامل في كل نواحي الحياة؛ ابتداءً من علاقة العبد بربه، وصدق التوجه إليه، وانتهاء بإصلاح علاقة العبد بالحياة والأحياء عليها، يقول ابن تيمية رحمه الله: «إن الله أمر بالإصلاح ونهى عن الفساد، وبعث رسله بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وقال موسى لأخيه هارون: «ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ» [الأعراف: ١٤٢]، وقال تعالى: «فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» [الأعراف: ٣٥]. (مجموع الفتاوى ج٣١/٢٦٦).

كما أوجب الله على موسى الأمر القيام بالإصلاح، وذلك بإقامة شرع الله ودينه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: «ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ» [الحج: ٤١]، وهذه صفة الأمة المسلمة التي تعمل جميعًا للخير والصلاح، فلا تبقي على منكر وهي قادرة على تغييره، ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه، وقد ذكر ابن كثير أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس وذكر هذه الآية، ثم قال: «إلا أنها ليست على الوالي وحده، ولكنها على الوالي والمولى عليه، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم، وبما للوالي عليكم منه؟ إن لكم على الوالي من ذلك أن يؤاخذكم بحقوق الله عليكم، وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة، ولا المستكرهة، ولا المخالف سرها علانيتها». [تفسير ابن كثير ٣/٣٨٣].

وعليه، فكل من مكَّن الله تعالى له وولاه أمرًا من أمور المسلمين العامة أو الخاصة، فعليه أن يعمل على ما يصلح دينهم ودنياهم، وأن يأخذ بأيديهم إلى ما ينفعهم في الدارين، وهذه المسؤولية سيسأله الله عنها، كما في حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته». [البخاري: ٨٩٣، ومسلم: ١٨٢٩].

ويجب على الراعي السعي الجاد في تحقيق الأصلح والأحسن فيما أُسند إليه على أتم وجه وأفضله. يقول القرافي- رحمه الله-: «اعلم أن كل من ولي ولاية الخلافة فما دونها إلى الوصية، لا يحل له أن يتصرف إلا بجلب مصلحة أو دفع مفسدة؛ لقوله تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ» [الأنعام: ١٥٢]، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «من ولي من أمور أمتي شيئًا، ثم لم يجهد لهم ولم ينصح فالجنة عليه حرام». [الفروق ٤/٩٥].

إن الله أمر بالإصلاح ونهى عن الفساد، وبعث رسله بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها .

واجب لا ينقطع من هذه الأمة:

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على جميع أمته القيام بالإصلاح فقال: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعون فلا يُستجاب لكم». [أخرجه الترمذي: ٢١٦٩].

وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الواجب لن ينقطع من هذه الأمة، وأن طائفة منها قائمة به، كما في حديث معاوية: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك». [البخاري: ٣٦٤١،

ومسلم: ١٠٣٧].

كما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً للمجتمع ومن فيه من مصلحين ومفسدين، فقال كما في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا؛ فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا». [البخاري: ٢٣٦١].

المنهج النبوي في الإصلاح:

ويؤخذ مما تقدم: أن الإصلاح والنهي عن المنكر والتصدي للفساد ضرورة شرعية، وتقع مسئولية القيام بذلك على الجميع، كلٌ بحسبه، ولقد اهتم الإسلام بهذا، فوضع له منهج العمل والتنفيذ، حتى تتحول المبادئ والقيم المقروءة والمسموعة إلى واقع عملي يحياه الناس، وقدوتنا في هذا المنهج نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وقد أرسى قواعد الإصلاح على أصول ومبادئ، لا بد من معرفتها، والسير عليها، ليتحقق للأمة الإصلاح المنشود، ولتحيى الحياة الكريمة السعيدة في الدنيا والآخرة، ويأتي على رأس المنهج النبوي في الإصلاح - الإخلاص لله تعالى في الاعتقاد والدعوة والعمل- قال الله تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠].

شروط العمل الصالح:

وقد أفادت الآية أن الذي يريد ثواب الله تعالى وجزاءه الصالح، فلا بد أن يعمل عملاً موافقًا للشرع، وأن يريد به وجه الله تعالى، وهذان ركنا العمل المتقبل عند الله. قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله-: «العمل لا يكون صالحًا إلا بثلاثة أمور:

الأول: أن يكون مطابقًا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فكل عمل مخالف لما جاء به صلوات الله وسلامه عليه، فليس بصالح، بل هو باطل، قال الله تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا» [الحشر: ٧]، وقال: «مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» [النساء: ٨٠].

الثاني: أن يكون العامل مخلصًا في عمله لله فيما بينه وبين الله، قال الله تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» [البينة: ٥]، وقال: «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ» [الزمر: ١١- ١٥].

الثالث: أن يكون العمل مبنيًا على أساس الإيمان والعقيدة الصحيحة، لأن العمل كالسقف، والعقيدة كالأساس، قال الله تعالى: «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» [غافر: ٤٠]، فجعل الإيمان قيدًا في ذلك، وبيَّن مفهوم هذا القيد في آيات كثيرة، كقوله تعالى في أعمال غير المؤمنين: «وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا» [الفرقان: ٢٣]. [أضواء البيان ٤/٨، ٩).

وبهذا يظهر أهمية الإخلاص ومكانته، فهو لبّ العبادة، وأصل الدين، وأساس أيّ دعوة إلى الله، وإذا كان الإخلاص شرطًا في أعمال الحياة العادية كي تكون سليمة متقنة، ليس فيها عذر أو خيانة، فما بالك إذا كان العمل لله، كان داعي الإخلاص إليه أشد وأقوى.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه، وقد أخبر سبحانه أن الأولين والآخرين إنما أمروا بذلك في غير موضع، فقال: «وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ» [البينة: ٤- ٥]، وهذا حقيقة لا إله إلا الله، وبذلك بعث جميع الرسل». [مجموع الفتاوى ١٠/٥١].

إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه .

والمخلصون ليست لهم وجهة، ولا لديهم غاية إلا التوجه إلى الرب الكريم سبحانه وتعالى خالصة قلوبهم إليه، ولذلك أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ألا يرفع بصره عنهم، قال الله تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا» [الكهف: ٢٨].

أمثل الصحابة إخلاصًا وأعلاهم درجة ومكانة:

وكان من أمثل الصحابة إخلاصًا وأعلاهم درجة ومكانة أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي أخبر الله برضاه عنه، وهو حي يتحرك على الأرض وذلك بسبب إخلاصه وتوجيه عمله لله وحده، قال الله تعالى: «وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ» [الليل: ١٩- ٢١]. قال ابن كثير: «وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها.. وهو مقدَّم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صدِّيقًا نقيًا كريمًا جوادًا باذلاً لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده مِنّة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود - وهو سيد ثقيف- يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة: يا عبد الله، هذا خير». فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما على من يُدْعَى منها ضرورة، فهل يُدعَى منها كلها أحد؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم». [تفسير ابن كثير ٤/٧٠٧].

ووعد الله للصديق بالرضا من أعلى منازل البشرى، وهذا الوصف بعضه ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: «وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ» [الضحى: ٤- ٥]، فهو وعد مشترك من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وللصدّيق رضي الله عنه، وكفى بهذا كرامة.

في الإخلاص نجاة:

إن الله تبارك وتعالى ينجّي عباده ويصرف عنهم السوء والفحشاء، بسبب إخلاصهم له وحده، قال تعالى في شأن نبيه يوسف عليه السلام: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ» [يوسف: ٢٤]. فتأمل كيف نجى الله عبده ونبيه يوسف عليه السلام بسبب إخلاصه ومراقبته لربه، وقد قرئت كلمة «المخلصين» بفتح اللام وكسرها، والمعنى على الفتح: أن الله اختاره وأحبه، وعلى الكسر: أنه شديد الإخلاص والتوحيد لربه. [انظر لسان العرب ٧/٢٦].

نداء لكل مصلح:

وختامًا أقول لكل مصلح يريد الخير والنجاح والنصر والتأييد، في أمتنا المصرية اليوم الذي تنادي فيها طوائف كثيرة متعددة بضرورة الإصلاح والتغيير، وهي في الوقت ذاته متنافرة متناحرة، أقول: الزموا طريق الإخلاص في أعمالكم ودعواتكم، واعلموا أن الخروج مما نحن فيه، يحتاج إلى عودة صادقة للكبير المتعال؛ لأن الأمة تُحفظ وتُنصر بإخلاص رجالها لله، وإرادة وجهه الكريم فحسب، وقد وقع في هذا الصحب الكرام رضوان الله عليهم فقال الله لهم: «وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [الأنفال: ٢٦]، وفي الحديث: «بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب». [صحيح الجامع: ٢٨٢٥].

أسأل الله أن يعز دينه وأن ينصر أولياءه، وأن يمكن لعباده، وللحديث بقية إن شاء الله.

الزموا طريق الإخلاص في أعمالكم ودعواتكم، واعلموا أن الخروج مما نحن فيه، يحتاج إلى عودة صادقة للكبير المتعال؛ لأن الأمة تُحفظ وتُنصر بإخلاص رجالها لله، وإرادة وجهه الكريم فحسب.



وزارة جديدة بين آمال وآلام !!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله، أمرنا بلزوم طاعاته ومجانبة محرماته، لننجو من عذابه، والصلاة والسلام على خير خلقه وآله، وبعدُ:

قبل ساعات قليلة من كتابة تلك السطور، وفي ظل ما تعيشه مصر من تجاذبات وآلام تقشعر لها ومنها الأبدان، يعلن عن التشكيل الوزاري الجديد، تسعة وزراء جدد يؤدون اليمين القانونية أمام رئيس الجمهورية، بين آمال وآلام، بين متشكك في تغيير واقع مؤلم يعيشه الجميع، ومتطلع رغم المرارة إلى حدوث انفراجة، وسط تلك الأجواء، بين الخوف والرجاء، وفصائل متناحرة على كرسي زائل متقاتلة، أجد نفسي قد خيم عليها الأسى والحزن؛ لما نجده من حولنا، ولما وصل إليه الناس في مصر، لقد نسوا أنهم من نبتها الطيب، فأفسدوا بدلاً من أن يصلحوا، وحرفوا بدلاً من أن ينتجوا، لذا وجبت النصيحة لمن هو في السلطة ومن يناوئه من منتقد ومتشكك، وإلى جموع الشعب العريض المطحون، عسى الله أن يأتي بالفرج من عنده.

إن المشهد جدٌّ خطير، فلم يعد من السائغ تبرير وجود الفساد في معظم المجالات، وفي كل بقعة من بقاع مصر، فحين يُمسك كل وزير جديد بملف وزارته، يستهل تصريحاته -لتبرير وجود الفساد في وزارته- بأن الفساد موجود في العالم كله..

ومع كل ذلك فالرجاء عبادة لا تُصرف إلاَّ لله، فمن علّق رجاءه بغير الله فقد أشرك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مجلس الوزراء .. بين الأمل والرجاء

حينما تنعقد المشاهد، وتتعالى الأصوات، وتدور رحى حروب الكلام، تموت كل معاني الوئام والالتئام، ومع تشكيل جديد استجيب له، بعد أداء حكومي فاشل تبددت معه الآمال في بادرة تحسُّن في كل المجالات، وازدادت الأمور سوءًا، وأصبح المشهد جدّ خطير، فالأمر لا يمكن أن يُقبَل على أنه مجرد تغيير لإسكات الأصوات العالية الغاضبة في كل بقعة من بقاع مصر، وإنما الأمر يحتاج إلى إخلاص النوايا لله، وضرورة إعلاء صالح

البلاد والعباد، فالابتلاءات كثيرة، والهموم تراها في أعين الناس في كل الطرقات، وهناك تفريط وإفراط في كل مناحي الحياة..

فضعوا أمام أعينكم -يا من توليتم حقائب السلطة- أن لكم ربًا مُطلعًا عليمًا، يعلم الصغير والقطمير، فخافوا الله تستقم أموركم، ولا تفرطوا في دينكم، فالخوف من الله تعالى مانعٌ للنفس عن شهواتها، وزاجرٌ لها من غيّها، ودافع لها إلى ما فيه صلاحها وفلاحها.

وقد أمرنا الله عز وجل بالخوف منه، ونهى عن الخوف من غيره، فقال تعالى: « إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ » [آل عمران: ١٧٥]، وقال سبحانه: «فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا » [المائدة: ٤٤]، فاخلعوا ثياب الفصيل، ولا تخافوا إلاَّ من رب قدير يعلم السرائر، ومطلع عليها، والخوف من الله سائق للقلب إلى فعل كل خير، وحاجزٌ له عن كل شر، والرجاء قائدٌ للعبد إلى مرضاة الله وثوابه، وباعث للهم إلى جليل وصالح الأعمال، وصارف عن قبيح الفعال. والخوف من الله وتقواه ينفع العاملين يوم العرض عليه، فالكرسي صغير، وعُمْرُهُ قصير، والحساب عليه ممتد وكبير.

اتقوا في دينكم تصلحوا وتصلح بلادكم

وبين الأمل والخوف والرجاء، والأمل في الله لا ينقطع، والخوف منه منجٌ لكم من الانزلاق وراء الكراسي الزائلة.

عندما يُدْرك المسلم شمول رحمة الله، وعظيم كرمه، وتجاوزه عن الذنوب العظام، وسعة جنته وجزيل ثوابه، تنبسط نفسه، وتسترسل في الرجاء والطمع فيما عند الله من الخير العظيم، وإذا علم العبد عظيم عقاب الله، وشدة بطشه وأخذه، وعسير حسابه، وأهوال القيامة، وفظاعة النار، كَفَّت نفسُهُ، وانقمعت وحذرت وخافت، وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد». [رواه مسلم، كتاب التوبة].

لقد تحيرت علينا الأمور، وأعيانا الأسى على

لقد تحيرت علينا الأمور، وأعيانا الأسى على الواقع المرير، فالتوجه الصادق إلى الواحد الأحد، هو العصمة والشفاء، وهو الطريق إلى العزة والرفعة والمَنَعة من الأعداء.

الواقع المرير، فالتوجه الصادق إلى الواحد الأحد، هو العصمة والشفاء، وهو الطريق إلى العزة والرفعة والمَنَعة من الأعداء، وربنا جل وعلا يعدنا فيقول: «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا» [الطلاق: ٢]، « وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» [الصافات: ١٧١- ١٧٣].

أيها السادة الوزراء، وأنتم تبدءون ولاية السلطة، فإننا نسأل أنفسنا جميعًا، ونسألكم: ألم يأن الأوان أن ننطلق انطلاقة صحيحة لتعديل المسار، ونتوجه التوجه الصادق لطرد الظلمات التي خيّمت على كثير من الأوضاع؟!

لقد حان الوقت أن تجمع الأمة قلبها وجوارحها لمحاربة الفساد الواقع في معظم مناحي الحياة الاقتصادية والمجتمعية، والثقافية والإعلامية، وفق مسار القرآن الكريم والهدي النبوي العظيم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» [الرعد: ١١]. ولن تنال مصر في يوم من الأيام نصرًا ولا قوة ولا رفعة ولا عزة أمام أعداء الإسلام إلاَّ بالوفاء بالعهد الرباني والوعد الإلهي «وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ » [البقرة: ٤٠]، وربنا جل وعلا يقول: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» [محمد: ٧].

أيها السادة الوزراء: أنتم من غرس تلك البلاد،

> لقد حان الوقت أن تجمع الأمة قلبها وجوارحها لمحاربة الفساد الواقع في معظم مناحي الحياة الاقتصادية والمجتمعية، والثقافية والإعلامية، وفق مسار القرآن الكريم والهدي النبوي العظيم.

فضعوها أمام أعينكم، وأنتم يا أبناء مصر ويا أهلها: إني سائلكم: أتظنون أن الشقاء يرتفع، وأن الذل والهوان ينقشع، وأن الكروب والمصائب تنجلي ونحن نحارب حكم الله في عباده، والمعاصي تنتشر في بلاد المسلمين، والموبقات تُبَث في إعلامهم؟! أنظن ألا تكثر بنا المصائب، وتدور علينا الدوائر، وكثير منا يحارب الله بارتكاب الموبقات، ويقاوم شرعه بالعظائم المهلكات؟! وربنا جل وعلا يقول: «ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» [الروم: ٤١].

كثرة التنازلات.. وترخيص الملاهي الليلية؟!

كيف يُسمح في مصر السُّنية بفتح العلاقات مع إيران، وفتح خطوط السياحة معها رغم ما هو معروف عن إيران من سعيها لنشر المذهب الشيعي في المنطقة، ثم نفاجأ بصدور قرار من وزير السياحة بمد تراخيص الملاهي الليلية: «الكباريهات لثلاثة أعوام مقبلة، بدلاً من عامين كما جرت العادة من قبل». فهل يتم تبرير ذلك بأنه ميراث النظام الغابر؟

وهل نقبل تحت وطأة التنشيط السياحي أن تكون بلادنا ملاذاً لمن أرادوا الترفيه عن أنفسهم بمعصية الله؟! هل من المفترض أن نسلم بالفكرة المأخوذة عن بلادنا بالخارج، ونغض الطرف عن مثل تلك المنكرات؟!

يروي لنا التاريخ أن الإمام العز بن عبد السلام دخل على السلطان نجم الدين أيوب في يوم العيد، وبين يديه جنده وحاشيته، فناداه قائلاً: يا أيوب! ما حُجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوئ لك ملك مصر، ثم تبيح الخمور؟! فقال السلطان: هل جرى هذا؟! قال العز: نعم، الحانة الفلانية تُباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة! فقال: يا سيدي! هذا أنا ما عملته، وهذا كان من زمان أبي، قال الشيخ: أأنت من الذين يقولون: «بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ» [الزخرف: ٢٢]؟! فأمر السلطان بإغلاق تلك الحانة فورًا. «ذكره السبكي في طبقات الشافعية».

رسائل لأولي الأمر.. وأهل السلطان

بين الأمل والخوف والرجاء، أجد نفسي أوجه رسائل موجزة للفصائل الموجودة على الساحة.. لمن هم في السلطة، ومن يسعون إلى نيلها، كل فصيل مكتف بنفسه مستغن عن الآخر، مستعل على رفاقه وأقرانه، وفي مقام كهذا قد يسدُّ البعضُ آذانه فلا يسمع، وقد يغلق عينيه فلا ترى، وقد تغيب العقول فلا تعي!!

إن من أعظم مسئولية الإنسان أداء حق الخالق سبحانه والإحسان إلى خلقه، وقد خلق الله الإنسان وعلمه البيان، ليكون ذلك بياناً للناس، يحقق البلاغ الواجب برأي رصين، وتكون النصيحة عنوان كل ذلك بعيدًا عن اتهام كل فريق للآخر.

ولمؤسسة الرئاسة أقول: إن لمؤسستكم عملاً قويمًا، وقرارًا رصينًا، يحرك كل طاقات الفاعلية في المجتمع، فيجتمع عنده الناس، ليحقق بذلك كل ما يتعلق بمطالب معاش الناس، إن الرئاسة في هذا المقام تعمل على قاعدة استراتيجية التوافق والاتفاق مع ما يوافق شريعة الرحمن، ولا تعمل في ميادين الفُرقة والشقاق، وهو أمل يجعل من الرئاسة عملاً يكون فيه الرئيس ظهيرًا للشعب حتى يكون الشعب له ظهيرًا.

إن لمؤسسة الرئاسة الفاعلة شروطًا ومعايير للتعامل والفاعلية، لا تكون إلا بتحريك قدرات تتعلق بجهاز إعلامي ومعلوماتي واتصالي يؤسس لخطاب رئاسي قادر على الاشتباك مع قضايا الناس، وتحقيق آمالهم ومناط طموحهم،

كذلك فإن الرئاسة تحتاج لجهاز إداري في داخلها كفء وفعّال يحرك كل عناصر الفاعلية في الحركة والاتصال، وهي في حاجة كذلك إلى جهاز من الخبراء والمتخصصين يُختارون على قاعدة الكفاءة والاقتدار، والجدارة والاستحقاق، حتى يمكن أن تُسنَد لأهل الكفاءة والخبرة، لا أهل الثقة والحظوة، وكذلك جهاز لإدارة الأزمات، بل وإعداد العدة للمهمات، واستباق الرؤى وبناء الاستراتيجيات، عبر أجهزة تتكامل في تحقيق الفاعلية لمؤسسة الرئاسة لتكون دافعة للعمل ورافعة للوطن.

تذكرة قبل فوات الأوان

بين الأمل والخوف والرجاء، سل نفسك: هل أعددت للموت عملاً صالحًا، أم أن الدنيا قد شغلتك عن المنية والإعداد للآخرة.

يا من تحب نفسك! تذكر وقوفك بين يدي الرحمن وأنت تُسأل عن مظالم فلان وفلان، وماذا عملت في الاستجابة لأوامر العزيز المنان.

والموفق في هذه الحياة هو من يسارع إلى طاعة ربه عز وجل، وإلى الاستجابة لأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» [الأنفال: ٢٤].

إن الكَيِّس هو الذي يتيقن تلك الحقيقة فيغلب آخرته على دنياه، ويكبح هواه بتقوى مولاه، «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ» [فاطر: ٥]، وقال سبحانه: «وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» [العنكبوت: ٦٤].

ورسولنا يحذرنا من الانشغال عن يوم الحساب فيقول فيما رواه البخاري: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

وأخرج الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنًى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدجال فشرّ غائب يُنتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمرّ».

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر رضي الله عنهما -وهي وصية جامعة لعموم الأمة-، قال ابن عمر: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي ثم قال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل...». وقال: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك». أخرجه البخاري.

> **يا من تحب نفسك.. سل نفسك: هل أعددت للموت عملاً صالحًا، أم أن الدنيا قد شغلتك عن المنية والإعداد للآخرة؟! تذكر وقوفك بين يدي الرحمن وأنت تُسأل عن مظالم فلان وفلان، وماذا عملت في الاستجابة لأوامر العزيز المنان.**

إن العبد مأمور بالطاعات ومنهي عن المحرمات في جميع الأوقات، ولكنه يتأكد الأمر بالعمل الصالح في آخر العُمر، وفي آخر ساعة من الأجل، ويتأكد النهي عن الذنوب في آخر العمر وفي آخر ساعة من الأجل؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالخواتيم». [رواه البخاري].

إن المعاصي تهين المرء ؛ قال تعالى:«وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ» [الحج: ١٨]، قال الحسن رحمه الله: «هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم».

وبكى أبو الدرداء يوم فتح قبرص فقيل له: ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: «ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة ظاهرة، قاهرة لهم الملك فصاروا إلى ما ترى».

وإذا هان الخلق على الله لم يعبأ بهم، ولم يجب دعوتهم.

فاللهم ارحمنا وأنت خير الراحمين. والحمد لله رب العالمين.

باب التفسير



تفسير سورة غافر

الحلقة الأولى

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

قال تعالى: «حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم (٢) غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول
لا إله إلا هو إليه المصير (٣) ما يجادل في آيات الله إلا
الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد (٤) كذبت
قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة
برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم
فكيف كان عقاب (٥) وكذلك حقت كلمت ربك على الذين
كفروا أنهم أصحاب النار (٦) الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم (٧) ربنا وأدخلهم جنات
عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم
وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم (٨) وقهم
السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك
هو الفوز العظيم» [غافر: ١- ٩].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

نبدأ في هذا العدد -بعون الله وفضله- تفسير سورة غافر، نتدارس كتاب ربنا، ونتعلم أحكام ديننا، ونسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

تقديم بين يدي السورة:

أسماؤها:

تسمى هذه السورة سورة غافر؛ لذكر هذا الاسم العظيم من أسماء الله الحسنى في مطلعها، كما تُسمى سورة الطوْل لوصف الله بذلك في مطلعها أيضًا. وتسمى سورة المؤمن؛ لذكر قصة مؤمن آل فرعون فيها.

موضوعها:

هي سورة مكية، شأنها شأن السور المكية في الاهتمام بترسيخ العقيدة، وبيان أصول الدين، وأركان الإيمان، ولكنها ركّزت على الصراع بين الحق والباطل، وكيف أن أهل الباطل يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، وكيف أن الله تعالى يدحض باطلهم ويزهقه، ويهلكهم أجمعين، ويجعل العاقبة للمتقين.

مناسبتها لما قبلها:

ومناسبة أول هذه السورة لآخر سورة الزمر أن الله تعالى لما ذكر في آخر الزمر مآل الكافرين: «قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» [الزمر: ٧٢]، استفتح السورة التالية بترغيب الكافرين في التوبة، وتهديدهم بالعقاب الشديد إن لم يتوبوا.

القرآن الكريم كلام رب العالمين:

الحاء والميم في قوله تعالى: «حم» للإشارة إلى أن عجز الكفار من العرب عن الإتيان بشيء من مثل هذا القرآن، مع أنه مؤلف من هذه الحروف التي يتألف منها كلامهم، دليل على أنه وحي من الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وليس من عند محمد كما زعموا، ولذلك صرّح بهذا بعد هذا الاستفتاح فقال:

«تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» الذي قهر الأشياء كلها وغلبها؛ لكمال عزته، «الْعَلِيمِ» الذي «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» [التغابن: ٤]، «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» [الأنعام: ٥٩]،

«غافر الذَّنْب» لمن استغفر، «وقابل التَّوْب» ممن تاب، «شديد العقاب» لمن أصرَّ واستكبر، «ذي الطَّوْل» والغنى عمن كفر، كما قال تعالى: «فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» [التغابن: ٦].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «غافر الذَّنْب» لمن قال لا إله إلا الله، «وقابل التَّوْب» ممن قال لا إله إلا الله، «شديد العقاب» لمن لم يقل لا إله إلا الله، «ذي الطَّوْل» أي ذي الغنى عمن لم يقل لا إله إلا الله. [معالم التنزيل(٥/٣٢)].

«لا إله إلا هو» أي لا معبود بحق إلا الله، «إليه المصير» والمرجع والمآب والمنتهى، «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى» [النجم: ٣١]، «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» [الزلزلة: ٧- ٨]، وفي الحديث القدسي، قال الله تعالى: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». [صحيح مسلم ١٩٩٤].

الرجاء والخوف:

وقد جمع الله تعالى في هذه الآية بين الترغيب والترهيب، فقال: «غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ»، وهذا في القرآن الكريم كثير:

قال تعالى: «نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ» [الحجر: ٤٩- ٥٠]، وقال تعالى: «قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ» [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» [الأعراف: ١٦٧]، وقال تعالى: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [المائدة: ٤٠].

فلا أمن من عذاب الله، ولا يأس من رحمته، ولكن رجاء وخوف، والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة، نعمل بطاعة الله، على نور من الله، نرجو رحمة الله، ونترك معصية الله، على نور من الله، نخشى عقاب الله.

من أساليب الدعوة:

رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ -رَحِمَهُ اللهُ- عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ذُو بَأْسٍ، وَكَانَ يَفِدُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَفَقَدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ؟ قَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يُتَابِعُ فِي هَذَا الشَّرَابِ، قَالَ: فَدَعَا عُمَرُ كَاتِبَهُ، فَقَالَ: اكْتُبْ: مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ غَافِرُ الذَّنْبِ، وَقَابِلُ التَّوْبِ، شَدِيدُ الْعِقَابِ، ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: ادْعُوا اللهَ لِأَخِيكُمْ أَنْ يُقْبِلَ بِقَلْبِهِ، وَأَنْ يَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَ الرَّجُلَ كِتَابُ عُمَرَ، جَعَلَ يَقْرَؤُهُ وَيُرَدِّدُهُ: غَافِرُ الذَّنْبِ، وَقَابِلُ التَّوْبِ، شَدِيدُ الْعِقَابِ، قَدْ حَذَّرَنِي عُقُوبَتَهُ، وَوَعَدَنِي أَنْ يَغْفِرَ لِي. [تفسير ابن أبي حاتم(٧/ ١٨٩٤٠)].

قال ابن كثير-رَحِمَهُ اللهُ-: وَرَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ وَزَادَ: فَلَمْ يَزَلْ

يُرَدِّدُهَا عَلَى نَفْسه ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمرَ خبرُه قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخًا لكم زلَّ زلة فسددوه ووثقوه، وَادْعُوا اللهَ لَهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْه، وَلاَ تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْه. [ابن كثير(٤/ ٧٠)].

الجدال المباح والممنوع:

«مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا»: أي: ما يجادل في آيات الله لرفضها وإبطالها، وردّها ودحضها، إلا الذين كفروا، كما قال تعالى: «وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا» [الكهف: ٥٦]، أما الذين آمنوا فإنهم يجادلون بآيات الله لإثباتها، وإعلاء كلمة الله، ودحض الباطل، وإظهار الحق.

فالجدال ليس ممنوعًا مطلقًا، وإنما هو مباح وممنوع، فالمباح الجدال بالحسنى لإحقاق الحق وإبطال الباطل:

قال تعالى: « ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ » [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: «وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ» [العنكبوت: ٤٦].

والممنوع جدال الكفار بالباطل ليدحضوا به الحق، وقد توعدهم الله على جدالهم هذا فقال: «وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» [الشورى: ١٦]، وقال تعالى: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ» [الحج: ٨- ١٠].

وقوله تعالى: «فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاَدِ» حين تراهم يغدون ويروحون آمنين مطمئنين، وقد كفروا بالله، وجادلوا في آياته، فإن الله يمهلهم ولن يهملهم:

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِم حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». قَالَ ثُمَّ قَرَأَ «وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» [هود: ١٠٢].[متفق عليه].

«فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاَدِ» فإنما هو استدراج، كما قال تعالى: «فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ» [القلم: ٤٤- ٤٥]، وإذا أردت أن تعرف مآلهم فانظر ما أصاب من قبلهم:

«كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ» كما كذبك قومك، والمراد بالأحزاب قوم عاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وفرعون وجنوده، كما قال تعالى: « كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ » [ص: ١٢- ١٣]، «وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ» كما همّ قومك بك، «وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ» كما جادلك قومك، فكيف كانت عاقبتهم، «فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ»، قال تعالى: « فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» [العنكبوت: ٤٠].

«وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ» أي كما حقت كلمة ربك على الذين كفروا من قبلك، فقد حقت كلمة ربك على الذين كفروا من قومك، «فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ» [هود: ٤٩].

علاقة الملائكة بالمؤمنين:

«الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا»:

العرش سقف المخلوقات، وهو خلق عظيم، كما وصفه الله تعالى في أكثر من آية، ويدل على عظمته قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَك مِنْ مَلاَئكة الله مِنْ حَمَلَة الْعَرْشِ؛ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنه إِلَى عَاتقه مَسِيرَةُ سَبْعمائَة عَام».[صحيح سنن أبي داود للألباني برقم٣٥٣٩].

والله تعالى مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله، كما أخبر بذلك في سبعة مواضع من كتابه، وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه، فحمل الملائكة للعرش ليس لحاجة بالله إليهم، فقد قال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا » [فاطر: ٤١]، ولكنه سبحانه خلق الملائكة ووكلهم بخلقه، فوكّل بالعرش ملائكة، ووكّل بالسحاب ملائكة، ووكّل بالجبال ملائكة، وهكذا.

وفي مجيء هذه الآية عقب ذكر تكذيب الكافرين من السابقين واللاحقين إشارة إلى ما صرح به ربنا

سبحانه في سورة فصلت؛ حيث قال: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ » [فصلت: ٣٧- ٣٨]، والمعنى فإن استكبر قومك عن عبادة الله عز وجل فالله غني عنهم، وعنده من الملائكة من يسبحون له بالليل والنهار، لا يسأمون، ولا يفترون، وإن كفر قومك فالملائكة به يؤمنون، «وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا»، وهذا الاستغفار منهم يدل على حبهم للمؤمنين من أهل الأرض، ونصحهم لهم، وشفقتهم عليهم، كما قال مطرف بن عبد الله -رَحِمَهُ اللهُ-: وجدنا أنصح خلق الله للمؤمنين الملائكة، ووجدنا أغش خلق الله للمؤمنين الشياطين. [تفسير عبد الرزاق(٣/ ١٤٠)].

وذكر بعض القراء أنه بينما هو يقرأ على شيخه هذه الآية إذ بكى الشيخ؛ ثم قال: يا فلان! ما أكرم عبد الله المؤمن على الله! ينام في فراشه والملائكة يستغفرون له.

فعلاقة الملائكة بالمؤمنين علاقة محبة ومودة، ونصح وشفقة، حتى إنهم ليفرحون بالمؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، ويُؤَمِّنُونَ على دعائه:

عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ». [صحيح مسلم ٢٧٣٢].

الحث على دعاء المؤمن لإخوانه:

وإذ الأمر كذلك فينبغي لكل مسلم أن يجتهد في الدعاء لإخوانه المؤمنين؛ لأنه من هدي الملائكة المقربين، والنبيين المرسلين، فقد قال نوح صلى الله عليه وسلم: « رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ » [نوح: ٢٨]، وقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم: « رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ » [إبراهيم: ٤١]، وقد أمر الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للمؤمنين، فقال تعالى: « فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ » [محمد: ١٩]، وحث النبيُّ صلى الله عليه وسلم على الاستغفار للمؤمنين، فقال: «مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً». [أخرجه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٩٠٢].

ومن حق الأخ على أخيه أن يدعو له وإن لم يطلب منه، ولذلك قال بعض السلف: بئس الأخ تحتاج إلى أن تقول له ادع لي.

ثم ذكر الله ما تقول الملائكة في استغفارهم للمؤمنين فقال: «رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»:

آداب الدعاء:

وفي هذا الدعاء والاستغفار تعليم للمؤمنين آداب الدعاء:

ومنها أن يستفتح بالنداء على الله تعالى بلقب الربوبية: «رَبَّنَا»، يا من ربيتنا بنعمك وآلائك وإحسانك، «وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا» توسل إلى الله عز وجل بصفاته العلا، وأسمائه الحسنى، توسل إلى الله بسعة رحمته وسعة علمه.

«فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ»، فمن أراد أن تشمله هذه الدعوة وهذا الاستغفار فليتصف بهذه الصفات: التوبة إلى الله، واتباع سبيله، «وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ » [الحجرات: ١١]؛ لأنهم حرموا أنفسهم من هذا الدعاء والاستغفار.

«رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ» أي خلود وإقامة دائمة، لا يخرجون منها أبدًا، «الَّتِي وَعَدْتَهُمْ» على ألسنة رسلك الذين أرسلتهم إليهم وبعثتهم فيهم، «وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»: قال سعيد بن جبير -رَحِمَهُ اللهُ-: إن المؤمن ليدخل الجنة فيقول: يا رب! أين أبي وأمي وزوجي، وأين أخي وأختي، وأين ابني وابنتي؟! فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك! فيقول: يا رب! إني كنت أعمل لي ولهم. فيقول الله تعالى: ألحقوا به آباءه وذريته [تفسير أبي السعود (٥/ ٤٠٩- ٤١٠)]، قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» [الطور: ٢١].

ومن جملة استغفار الملائكة: «وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ» أي اكفهم شر السيئات التي عملوها كما وعدتهم، «لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » [الزمر: ٣٥]، «وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».



من أحكام البيع بالتقسيط

حكم سداد الأقساط قبل موعدها

الحلقة الرابعة

إعداد/ أ.د. علي السالوس
رئيس الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: نواصل الحديث عن أحكام البيع بالتقسيط، وقد تكلمنا في عدد سابق عن مشكلة التأخر في دفع الأقساط، وهل للمصرف مطالبة المدين المماطل بالتعويض، ونتحدث في هذا العدد - بعون الله تعالى - عن:

حلول الأقساط قبل موعدها

المصارف الإسلامية التي لا تأخذ بالنظام السابق - حيث لم تجزه هيئات الرقابة الشرعية لديها- رأت أن اتخاذ الإجراءات ضد المدين المماطل يكلفها الكثير، فنصت في عقود البيع على أن المشتري إذا تأخر في دفع قسطين متتالين، فإن باقي الأقساط تحل فورًا، ويحق للمصرف المطالبة بجميع الأقساط، واتخاذ ما يراه لازمًا للوصول إلى حقه.

اللجوء إلى التحكيم:

ورأت هذه المصارف كذلك أن تلجأ إلى التحكيم لرفع الضرر: فيختار المصرف حَكَمًا، ويختار المشتري حَكَمًا، ويختار الحكمان حكمًا ثالثًا: وينظر المحكمون في الموضوع من جميع جوانبه، ويكون حكمهم ملزمًا للطرفين غير قابل للنقض، سواء أصدر بالإجماع أم بالأغلبية.

ضع وتعجل:

يلجأ بعض التجار إلى ما يُعرف في الفقه الإسلامي باسم: (ضع وتعجل)، والمراد من ضع وتعجل التنازل عن جزء من الدين المؤجل، ودفع الجزء الباقي في الحال.

ورُوي أن ابن عباس سئل عن الرجل يكون له الحق على الرجل إلى أجل فيقول: عجل لي وأضع عنك، فقال: لا بأس بذلك.

وروي أيضًا أن ابن عباس قال: إنما الربا: أخِّر لي وأنا أزيدك، وليس: عجِّل لي وأضع عنك. [انظر: مصنف عبد الرزاق ٨/٧٢].

ويذكر أن الذين أجازوه كذلك هم: النخعي: وهو من التابعين، توفي سنة ٩٦هـ، وزفر: من أصحاب أبي حنيفة، توفي سنة ١٥٨هـ، وأبو ثور: من أصحاب الشافعي، وتوفي سنة ٢٤٠هـ.

أما الذين لم يجيزوا (ضع وتعجل) فهم عامة

الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، والأئمة الأربعة وجمهور الفقهاء.
ومما رواه الحافظ عبد الرزاق (المتوفى سنة ٢١١) في مصنفه تحت «باب الرجل يضع من حقه ويعجل» ما يأتي:
أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن الزهري أن ابن المسيب وابن عمر قالا: من كان له حق على رجل إلى أجل معلوم، فتعجل بعضه وترك له بعضه، فهو ربًا، قال معمر: ولا أعلم أحدًا قبلنا إلا وهو يكرهه.
أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن ابن ذكوان عن بسر بن سعيد عن أبي صالح مولى السفاح قال: بعتُ بزًا إلى أجل، فعرض عليَّ أصحاب الدَّيْن أن يعجلوا لي وأضع عنهم، فسألت زيد بن ثابت عن ذلك فقال: لا تأكله ولا تؤكله.
أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال: أخبرني أبو المنهال عبد الرحمن بن مطعم قال: سألت ابن عمر عن رجل لي عليه حق إلى أجل، فقلت: عجّل لي وأضع لك، فنهاني عنه، وقال: نهانا أمير المؤمنين أن نبيع العين بالدَّيْن.
أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا إسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن قيس مولى ابن يامين قال: سألت ابن عمر، فقلت: إنا نخرج بالتجارة إلى أرض البصرة وإلى الشام، فنبيع بنسيئة ثم نريد الخروج، فيقولون: ضعوا لنا وننقدكم، فقال: إن هذا يأمرني أن أفتيه أن يأكل الربا ويطعمه، وأخذ بعضدي ثلاث مرات، فقلت: إنما أستفتيك، قال: فلا.
أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: قلت للشعبي: إن إبراهيم قال في الرجل يكون له الدَّيْن على الرجل فيضع له بعضًا، ويعجل له بعضًا: إنه ليس به بأس، وكرهه الحكَم بن عيينة، فقال الشعبي: أصاب الحكَم وأخطأ إبراهيم.
والإمام مالك رضي الله عنه تحدث عن هذا الموضوع في الموطأ، فجعله تحت: باب ما جاء في الربا في الدَّيْن، ونقرأ في هذا الباب ما يأتي:
حدثني يحيى عن مالك، عن أبي الزناد، عن بسر بن سعيد، عن عبيد أبي صالح مولى السفاح أنه قال: بعتُ بزًا لي من أهل دار نخلة إلى أجل، ثم أردت الخروج إلى الكوفة، فعرضوا عليَّ أن أضع عنهم بعض الثمن، وينقدوني، فسألت عن ذلك زيد بن ثابت، فقال: لا آمرك أن تأكل هذا ولا تؤكله.
وحدثني عن مالك، عن عثمان بن حفص بن خلدة، عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر، أنه سئل عن الرجل يكون له الدَّيْن على الرجل إلى أجل، فيضع عنه صاحب الحق ويعجله الآخر، فكره ذلك عبد الله بن عمر، ونهى عنه.
وحدثني مالك عن زيد بن أسلم أنه قال: كان الربا في الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل الحق إلى أجل، فإذا حل الأجل، قال: أتقضي أم تربي؟ فإن قضى أخذ، وإلا زاده في حقه، وأخّر عنه في الأجل.
قال مالك: والأمر المكروه الذي لا اختلاف فيه عندنا، أن يكون للرجل على الرجل الدَّيْن إلى أجل، فيضع عنه الطالب ويعجله المطلوب، وذلك عندنا بمنزلة الذي يؤخر دينه بعد محله عن غريمه، ويزيده الغريم في حقه، قال: فهذا الربا بعينه، ولا شك فيه. (راجع الباب في كتاب البيوع من الموطأ).
وابن رشد الحفيد يبين سبب الخلاف، فيقول في بداية المجتهد (١٤٤/٢): وعمدة من لم يُجز (ضع وتعجل) أنه شبيه بالزيادة مع النظرة المجتمع على تحريمها، ووجه شبَهه بها أنه جعل للزمان مقدارًا من الثمن بدلاً من الموضعين جميعًا، وذلك أنه هنالك لما زاد له في الزمان زاد له عوضه ثمنًا، وهنا لما حطّ عنه الزمان حط عنه في مقابلته ثمنًا، وعمدة من أجازه ما روي عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بإخراج بني النضير جاءه ناس منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ضعوا وتعجلوا» وفي صحته نظر. والله أعلم. (البداية والنهاية ٧٥/٤).
وفي سنن البيهقي (٢٧/٧) نجد بابًا بعنوان: «من عجّل له أدنى من حقه قبل محله فيقبله، ووضع عنه، طيبة به أنفسهما».

وتحت الباب يذكر بسنده أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب أن يظله الله في ظله فلينظر معسرًا، أو ليضع عنه».

وحديثًا آخر: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلْيُنْظِر معسرًا أو ليضع عنه».

ثم يذكر أن ابن عباس كان لا يرى بأسًا أن يقول: أعجل لك وتضع عني.

قال: وقد روى فيه حديثًا مسندًا في إسناده ضعف، وذكر هذا الحديث الضعيف.

وبعد الباب السابق يأتي باب: «لا خير في أن يعجله بشرط أن يضع عنه». (٦/٢٨).

وتحت الباب ذكر عدة أخبار تتفق مع روايات عبد الرزاق التي أثبتناها من قبل.

٢- لو صح الحديث يمكن أن يدل على حكم خاص لا يقبل التعميم، فالأمر هنا لليهود، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: «فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ» [النساء: ١٦٠- ١٦١].

فما يضعونه قد يكون من الربا، ومن أموال الناس التي أكلوها بالباطل، وهذا لا ينطبق على المسلمين.

٣- ابن عباس - رضي الله عنهما - حبر الأمة وترجمان القرآن، ولكنه عندما ينفرد بالرأي دون الصحابة الكرام، فقد لا نجد حرجًا في عدم الأخذ برأيه، ولذلك خالفه التابعون، والأئمة الأعلام.

٤- قد لا نجد فرقًا بين أن يأخذ الدائن مائة لتأجيل ألف، وأن يعطي مائة لتعجيل ألف. والحالة الثانية في حقيقتها هي: ضع وتعجل، ولذلك كان قول الإمام مالك: فهذا الربا بعينه، لا شك فيه.

أثر الموت في حلول الأجل:

إذا مات البائع قبل استيفاء الثمن انتقلت الملكية للورثة، فإذا كان الثمن أقساطًا مؤجلة، فليس من حق الورثة المطالبة بها قبل موعدها.

ولكن إذا مات المشتري قبل أداء الأقساط، كلها أو بعضها، فهل للبائع أن يطالب بحقه قبل توزيع التركة، أم بعد توزيع التركة على الورثة، ويكون الدين في ذمتهم، يؤدونه في موعده؟

إذا لم يوثق الورثة الدَّين برهن أو غيره فللبائع أن يطالب بدَيْنه قبل توزيع التركة.

أما إذا وثقوه بما يضمن حق البائع، وأداء الأقساط في مواعيدها، أفيبقى حقهم في الأجل، أم أن الأجل كان حقًا للمشتري ما دام حيًا، وبموته يسقط هذا الحق ويحل الأجل؟

يرى الحنفية والمالكية والشافعية أن الدَّيْن يحل بالموت، وأن الأجل يسقط بموت من له الأجل.

فإذا مات المدين حل أجلُ الدين، وإذا كان له كفيل ومات في حياة المدين سقط الأجل بالنسبة للكفيل، وكان للدائن أن يطالب ورثته، وأن يأخذ حقه من مال الكفيل قبل توزيع التركة.

جاء في المدونة (٥/٢٥٧) تحت عنوان: «في الحميل أو المتحمل به يموت قبل محل الحق»، ما يلي:

«أرأيت إن تكفلت لرجل بما له على رجل إلى أجل، فمات الكفيل، أو مات المكفول به؟ (قال): قال لي مالك: إذا مات الكفيل قبل محل الأجل، كان لرب الحق أن يأخذ حقه من مال الكفيل، ولا يكون لورثة الكفيل أن يأخذوا من الذي عليه الحق شيئًا حتى يحل أجل المال.

(قال مالك): وإن مات الذي عليه الحق قبل الأجل، كان للطالب أن يأخذ حقه من ماله، فإن لم يكن له مال لم يكن له أن يأخذ الكفيل بالحق حتى يحل الأجل».

وفي الشرح الصغير للدردير (٢/١٥٩): «(وعجل الدين بموته) أي الضامن قبل الأجل، (من تركته) إن كان له تركة (ورجع وارثه) أي وارث الضامن على الغريم (بعد الأجل أو) بعد (موت الغريم) على تركته (إن تركه) أي إن ترك ما يؤخذ منه الدين، وإلا سقط».

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

نظرات في مفهوم الحرية في الإسلام..

إعداد/ إعداد: د. السيد عبد الحليم

عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ؛ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا؛ فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا».

تخريج الحديث

[أخرجه أحمد (٢٦٨/٤، رقم ١٨٣٨٧)، والبخاري (٨٨٢/٢، رقم ٢٣٦١)، والترمذي (٤٧٠/٤، رقم ٢١٧٣) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: البزار (٢٣٧/٨، رقم ٣٢٩٨)، والبيهقي (٢٨٨/١٠، رقم ٢١١٩٩)، وابن حبان (٥٣٢/١، رقم ٢٩٧)].

راوي الحديث

النعمان بن بشير بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي. أمه عمرة بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة، وُلد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثماني سنين وسبعة أشهر، وقيل: بست سنين. والأول أصح. وقال ابن الزبير: النعمان أكبر مني بستة أشهر. وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة في قولٍ، له ولأبويه صحبة، يكنى أبا عبد الله.

هذا الحديث

أخرجه البخاري في كتاب «الشركة»، وذكر الحافظ ابن حجر أنه يشمل الفرق الثلاث وهي:

١- الناهي عن المعصية.

٢- الواقع فيها.

٣- المرائي بذلك أو المداهن كما في الرواية الأخرى.

فالذين أرادوا خرق السفينة بمنزلة الواقع في حدود الله، ثم من عداهم إما مُنكر وهو القائم على حدود الله، وإما ساكت وهو المداهن.

من معاني الحديث

وقوله: «استهموا على سفينة» أي: اقترعوا فأخذ كل واحد منهم سهمًا، أي موقعًا منها إجارة أو ملكًا.

إن هذا الحديث قد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً، ومن شأن الأمثال أن تنفتح على معان كثيرة، ويمكن أن تُضرَب لصور عديدة مما تحتمله ألفاظها وسياقاتها، على أن لا تغيّر في حال مضربها عن حال موردها.

قضية الحرية في القرآن:

إن هذا الحديث غزير المعاني، غني بالدلالات، قدم به رسول الله صلى الله عليه وسلم للأسس القرآنية التي أقام القرآن المجيد عليها بناء وفهم الحرية، باعتبارها من أعلى القيم الحاكمة بعد التوحيد، عليها تتوقف التزكية، وبها يقوم العمران، وبها يكون الإنسان إنسانًا.

أما الأسس القرآنية لقضية الحرية فإن الآيات الكريمة التي تناولت هذه القضية تجاوزت مائتي آية، ذات دلالة مباشرة عليها.

ومع ذلك فإن البعض وَهِمَ فادعى أن القرآن لم يتعرض لقضية الحرية، ولم يولها اهتمامًا؛ لأنه لم يجد لفظ الحرية واردًا فيه ورود الألفاظ والمفاهيم الشرعية التي عني القرآن الكريم بها، وأنها حين ورد ما يشير إليها في بعض الآيات مثل قوله تعالى: «ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ» [البقرة: ١٧٨] يأتي في أحكام القصاص أراد بذلك ما يقابل الرق والعبودية بمعناها السائد المتداول آنذاك.

فالحر في الآية قد فُسِّر بأنه خلاف العبد المسترَق، أو أنه من لم يجرِ عليه استرقاق، وقد التفت

علماؤنا قديمًا إلى هذه الشبهة وناقشوها، ومن بين الذين أجادوا في مناقشتها وتفنيدها الراغب الأصبهاني من علماء القرن الرابع الهجري فقال: «إن معنى الحرية غير قاصر على ما يقابل الرق؛ لأن الحر أيضًا من تملكته الصفات الذميمة من الحرص والشره والطمع في حيازة المقتنيات الدنيوية، وقبول الدَّنِيَّة من أجل ذلك».

وأوضح أن العبودية ما يقابل ذلك، واستشهد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة»، كما استأنس بقول الشاعر:

ورق ذوي الأطماع رقٌ مخلَّد

ويقول العرب: «عبد الشهوة أذل من عبد الرق».

كما أن التحرير في القرآن المجيد جاء بمعنى جعل الإنسان حرًا كما في قوله تعالى: «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ» [النساء: ٩٢]، وقوله تعالى حكاية عن أم مريم: «إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا» [آل عمران: ٣٥] أي: جعلته خالصًا لك ولعبادتك، فلن يلزم بشيء من أمور الدنيا قد يعيقه عن ذلك.

ومنه تحرير الأسرى وتحرير السجناء بمعنى إطلاقهم من قيود الأسر والحبس، فالمادة اللغوية موجودة في القرآن وألفاظه، وليست غريبة عنه، فلا يليق بباحث أن يزعم أنها لم ترد في القرآن إلا في مقابلة الرق بمفهومه الذي كان سائدًا عالميًا في مرحلة نزول القرآن المجيد.

من فوائد الحديث

وقد استنبط العلماء من هذا الحديث فوائد جمة ومعاني وفيرة، ومع ذلك فهذا الحديث- المثل- ما يزال قادرًا على مدنا بالمزيد، فيمكن أن نضربه مثلا للأرض ووحدتها، ولسكانها من البشر، ووحدة مصيرهم، فالأرض مثل السفينة، والأسرة البشرية الممتدة مثل ركاب تلك السفينة، وهذه الأسهم من الأرض التي نطلق عليها أوطانًا وديارًا، هي أسهم المجموعات البشرية التي جُعلت شعوبًا وقبائل لتتعارف وتتآلف وتتعاون على تحقيق العمران في الأرض الذي يُعد جوهر مهمة الاستخلاف فيها.

وهذا لا يعطي الحق لأية مجموعة بشرية أن تتعسف في استعمال حقها هذا في الانتفاع، فتفسد في نصيبها من الأرض بحجة كونه نصيبها أو وطنها، فكونه وطنها لا يعطيها الحق في الإفساد وتدمير البيئة أو تلويثها أو تعريضها للخطر؛ لأن الضرر لن يكون قاصرًا على ذلك الجزء، بل سيكون شاملاً في بعض الأحيان للبيت الإنساني الكبير، ألا وهو المعمورة كلها، وسيكون ضارًا بالأسرة البشرية بمجموعها.

الحديث يقدم صورة للتضامن البشري:

من هنا يجب على الأسرة البشرية الممتدة أن تتضافر بكل شعوبها، وتتكاتف لحماية سفينة الأرض ومن عليها، وما عليها من أية أعمال قد تؤدي إلى الإفساد في الأرض، أو العيث فيها فسادًا، «وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» [البقرة: ٦٠]. وهذا الواجب يتناول المجموعات الإنسانية الصغرى في المدن والقرى والأقاليم، ويتناول كذلك الأسرة باعتبارها الوحدة الصغرى في المجتمع.

فالكل شركاء في المسئولية عن حماية السفينة كلها، وركابها أجمعين، ولا يغني عنهم أو يرفع المسئولية عن كواهلهم أمام الله تعالى أنهم لم يشاركوا بإحداث التخريب؛ لأن الهلاك سيعم الجميع، فلو أن البشر أدركوا مسئولياتهم نحو سفينتهم الأرض، والأسرة البشرية الممتدة التي تسكن عليها، وتضامنوا للقيام بواجب منع الإفساد في الأرض، والأخذ على أيدي المفسدين لما كانت أسلحة الدمار الشامل ستظهر أو تنتشر بهذا الشكل المريع؛ الذي جعل مخزونها كافيًا لتدمير الأرض ومن عليها، وما عليها ولعدة مرات، وإنهاء الحياة عليها تمامًا، ولما ظهر الفساد والتلوث في البر والبحر والجو بهذا الشكل الخطير، ولما كان ثلث البشرية يعيشون اليوم تحت خط الفقر تفتك بهم الأمراض المختلفة والجهل والأمية والتسلط والحروب.

والحديث يقدم بعد ذلك أساسًا متينًا للتضامن البشري، والتكامل لمواجهة الأخطار المشتركة صفًا واحدًا، وإرساء دعائم ما نسميه بالمجتمع المدني، وتقوية ما هو متوافر من مؤسسات، وما ليس بموجود منها لتحمل كل مجموعة بشرية مسئوليتها في تقوية الثغر الذي تقوم عليه، وحماية السفينة.

والحمد لله رب العالمين.

القصة في كتاب الله



قصة ذي القرنين

ثم أتبع سببًا

الحلقة الثالثة

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله الذي يعطي ويمنع ويخفض ويرفع، وكل شيء عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه الطيبين الأبرار ما توالى الليل والنهار، أما بعدُ:

فهذا لقاؤنا الثالث مع العبد الصالح والملك المُمَكَّن ذي القرنين، وهو يواصل مسيرته الميمونة المباركة في أرجاء المعمورة؛ بما أفاء الله عليهم من وسائل التمكين، فينتقل من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق؛ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ينصر مظلومًا، ويقهر ظالمًا، يسوس البلاد والعباد بالعزم والعدل، ويصلح دنيا الناس بدين الله وشريعته، ويحقق غاية التمكين في الأرض كما أراد الله - سبحانه- « ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ » [الحج: ٤١]، فهذا واجب التمكين وهو في ذات الوقت من أسباب استمراره، وذو القرنين استحق نصر الله وتمكينه، لأنه قام بحق التمكين، فعَبَد الله وحده لا شريك له، ودعا لعبادته، وأقام العدل في الأرض، ونشر الرحمة والتعاون، ولم يبغِ في الأرض فسادًا.

وها هو القرآن الكَريم يسجّل لنا هذه الجوانب الإيمانية في سيرته، ويسجل لنا رحلته إلى الشرق بعد أن سجل لنا رحلته إلى الغرب فيقول سبحانه: « ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا » [الكهف: ٨٩- ٩١].

وهذه هي الوقفة السابعة مع نصوص هذه القصة:

١- «ثم أتبع سببًا» أي واصل مسيرته المباركة الميمونة في سبيل الله لإعلاء كلمته- سبحانه-، وتحقيق منهجه واقعًا ملموسًا على الأرض، فانتقل من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، والذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله: « حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ » [الكهف: ٩٠]، والمقصود مطلع الشمس في عين الرائي كما ذكرنا القول عند مغربها، والقرآن الكريم لم يحدَّ المكان على وجه التحديد، لكنه وصف حال سكان المنطقة بقوله تعالى: « وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن

دُونِهَا سِتْرًا» [الكهف: ٩٠]، وهذا الوصف لسكان المكان جعل بعض أهل العلم يجتهدون في تحديد بعض المناطق على وجه التقريب لا الجزم (والعلم عند الله).

٣- وإذا اختلف الناس في تحديد المكان والزمان والأشخاص؛ فإن الله سبحانه قد أحاط بكل شيء علمًا، وهذا الذي نفهمه من التعقيب القرآني على هذا المشهد؛ حيث قال سبحانه: «كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا» [الكهف: ٩١]. قال العلامة ابن عاشور- رحمه الله-: «والخُبْر- بضم الخاء وسكون الباء- العلم والإحاطة بالخبر كناية عن كون المعلوم عظيمًا لا يحيط به علمًا إلا علام الغيوب». اهـ.

ونحن نقول: سبحان من أحاط بكل شيء علمًا، وانتهى عنده- سبحانه- علم ما كان، وعلم الحاضر وعلم ما سيكون كيف يكون، وقد أطلع عباده على هذه النافذة من علم الماضي؛ لينتفعوا بها في سياسة الحاضر والمستقبل، ونتعلم أن الحاكم المُمكَّن بفضل الله لا يتوانى عن تفقد أخبار مملكته مهما اتسعت أرجاؤها؛ لينظر أحوال رعيته، ويعاينها على أرض الواقع، ويلتمس أحوالهم عن قرب، ويُصلح ما فسد منها، ويعزز منها ما صلح، كما كان يقول عمر رضي الله عنه: «لو عثرت بغلة في أرض العراق لخشيت أن يسألني ربي: لِمَ لَمْ تمهِّد لها الطريق يا عمر». بمثل هذا الشعور بالمسئولية يقوم المُلك الذي مكَّنه الله، ويستمر بإذن الله على مرِّ التاريخ.

الوقفة الثامنة: مع قوله تعالى: «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا» [الكهف: ٩٢- ٩٨].

ونتناول هذه الوقفة في النقاط الآتية:

١- واصل ذو القرنين مسيرته التفقدية الإصلاحية، وفي هذه المرة وصل إلى منطقة عند سدين معروفين لأهل ذلك الزمان، وسنأتي لمزيد من التفصيل في هذا لاحقًا بعون الله.

٢- ويبدو أنه قد علم بوجود قوم مفسدين في الأرض في هذه المنطقة، فأراد أن يمنع عن الناس شرَّهم.

٣- وعندما وصل ذو القرنين المكان وجد قومًا لا يكادون يفقهون قولًا، ولكن الله أعطاه قدرة على مخاطبة الجميع وفهم ألسنتهم، فعلم شكواهم من يأجوج ومأجوج، وأعلنوا عن رغبتهم في أن يجعلوا له نصيبًا من المال مقابل حمايتهم من المفسدين.

٤- فأبدى ذو القرنين استعداده لإقامة سدٍّ بينهم وبين يأجوج ومأجوج، وردَّ عليهم عَرْضهم لأن الله أغناه عنهم وعن غيرهم بما أفاء عليهم من فضله.

٥- لكنه طلب منهم أن يقدِّموا ما يستطيعون من قوة بشرية وعضلية في هذا العمل.

٦- وطلب منهم أن يجمعوا قطع الحديد ويلقوها بين السدين لردمها لإقامة سدٍّ منيع يحجز بينهم وبين يأجوج ومأجوج؛ فلا يستطيعون النفاذ إليهم، وبذلك يأمنون شرهم.

٧- بعد أن جمعوا الحديد ووضعوه بين الجبلين طلب منهم أن يوقدوا عليه النار لينصهر.

٨- ثم ألقى عليه النحاس المذاب فيصير جسمًا واحدًا أشد تماسكًا.

٩- وقد اكتشف العلم الحديث أن إضافة النحاس إلى الحديد يعطي الخليط المنصهر قوة ليست في غيره.

١٠- وعجز المفسدون عن اقتحام السد، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: «فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا» [الكهف: ٩٧]، فلم يستطع قوم يأجوج ومأجوج أن يعتلوا السد لارتفاعه وملاسة جدرانه، وما استطاعوا أن يُحدثوا فيه فتحة صغيرة أو كبيرة لصلابته وقوته.

١١- وتأمل دقة التعبير القرآن في اختيار ألفاظه الموحية المعبرة، فاختار لتسلق الجدار (اسطاعوا) واختار لنقبه (استطاعوا)؛ لأن التسلق أسهل من النقب؛ فالنقب يحتاج إلى مجهود أشد من التسلق، ولما كان زيادة المبنى في اللغة يدلّ على زيادة المعنى، أدركنا سرَّ الاختيار القرآني للكلمة المناسبة في المكان المناسب.

١٢- وختم هذا المشهد باعتراف ذي القرنين بالفضل لله وحده، وأن هذا العمل الذي قام به هو محض فضل من الله ورحمة، وهذا دأب الصالحين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر في نسبة الفضل لله أولًا وآخرًا، ثم بيَّن أن هذا السد سيبقى إلى ما شاء الله، ويأذن في زواله.

وإلى هنا نصل إلى نهاية ما ذكر الله من قصة ذي القرنين، وإلى ما يُستنبط منها من دروس وعبر نلتقي في لقاء قادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة العاشرة

إعداد/ علي حشيش

١١٤ - « رَجَبُ شَهْرُ الله، وشَعْبانُ شَهْري، وَرَمَضانُ شَهْرُ أُمَّتي».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/١١٧، ١١٨) من حديث أبي سعيد مرفوعًا مطولاً، وقال: هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والكسائي لا يُعرَف، والنقاش مُتَّهم.

١١٥- « أربعةٌ من كنز الجنة: إخفاءُ الصدقة، وكتمانُ المصيبةِ، وصلةُ الرَّحِم، وقولُ لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «التاريخ» (١/١٨٦) من حديث عليّ مرفوعًا، وفي إسناده الحارث وهو ابن عبد الله الأعور، قال ابن المديني: كذاب. كذا في «الميزان» (١/٤٣٥/١٦٢٧)، وقال ابن حبان في «المجروحين» (١/٢٢٢): «كان غاليًا في التشيع واهيًا في الحديث».

وننبّه القارئ أن هناك بديلاً للجملة الرابعة فقط يربطها بالمبتدأ من حديث أبي موسى قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: « يَا عَبْدَ اللَّه بْنَ قَيْس قُلْ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ؛ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّة» والحديث متفق عليه: البخاري (٦٦١٠)، (٧٣٨٦)، ومسلم (٢٧٠٤).

١١٦- «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ».

حديث لا أصل له: أورده الإمام السخاوي في «المقاصد» (ح١١٤٩)، ثم ذكر عن أبي المظفر ابن السمعاني: «أن الحديث لا يُعرف مرفوعًا، وإنما يُحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله»، وكذا قال النووي: إنه ليس بثابت. اهـ.

وقال الإمام الصغاني في «الموضوعات» (ح٢): حديث موضوع.

ونقل الإمام القاري في «موضوعاته» (ح٣٤٩) عن ابن تيمية أنه قال: «موضوع».

قلت: قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٦/٣٤٩): «بعض الناس يروي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث ولا يُعرَف له إسناد». اهـ.

١١٧- « عَجِّلُوا بِالصَّلاَةِ قَبْلَ الْفَوْتِ، وَعَجِّلُوا بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ الْمَوْتِ».

الحديث لا يصح: أورده الصغاني في «الأحاديث الموضوعة» (ح٨).

١١٨- «عَلَيْكُمْ بِالسَّرَارِي، فَإِنَّهُنَّ مُبَارَكَاتُ الأَرْحَام».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ح٨٣٤٩) من حديث أبي الدرداء مرفوعًا، وقال: لا يُروى هذا الحديث عن أبي الدرداء إلا بهذا الإسناد، تفرد به عمرو بن الحصين.

قلت: ذكره الذهبي في «الميزان» (٣/٢٥٢/٦٣٥١) قال أبو حاتم: «ذاهب الحديث، وقال أبو زرعة: واه، وقال الدارقطني: متروك، لذلك أورده الصغاني في «موضوعاته» (ح٦٧).

١١٩- «أنتَ تُبَيِّن لأُمَّتي مَا اختَلَفُوا فيهِ مِن بَعْدِي».

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٢٢/٣) من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعليّ... فذكره. وفيه ضرار بن صرد، وأورد له الذهبي هذا الحديث في «الميزان» (٣٩٥١/٣٢٧/٢)، وجعله من منكراته، ونقل عن ابن معين أنه كذاب. وقال ابن عدي في «الكامل» (١٠١/٤) (٩٥٠/٧): «ضرار بن صرد في جملة من يُنْسَبُون إلى التشيع بالكوفة»، وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣١٠): «متروك الحديث».

١٢٠- « مَن أَكَلَ مَعَ مَغْفُورٍ لَه غُفِرَ لَه».

الحديث لا أصل له صحيح ولا حسن ولا ضعيف، نقله الحافظ السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجر في «المقاصد» (ح١٠٧٣).

١٢١- « أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الأَغْنِيَاءَ بِاتِّخَاذِ الْغَنَمِ، وَأَمَرَ الْفُقَرَاءَ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٠٨/٥) (١٣٦٢/٣٩٤) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وفيه علي بن عروة، وقال: منكر الحديث، وفي «سؤالات عثمان الدارمي ليحيى بن معين قال: ليس بشيء. وقال ابن حبان في «المجروحين» (١٠٧/٢): «كان ممن يضع الحديث». اهـ.

١٢٢- « مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَمْشِيَ الرَّجُلُ مَعَ ضَيْفِهِ إلى باب الدَّارِ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٠٩/٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا حكمًا، وفيه أيضًا علي بن عروة الدمشقي بيّنا حاله آنفا، وقال الذهبي في «الميزان» (٨٥٩١/١٤٥/٣): كذّبه صالح جزرة وغيره.

١٢٣ - «اسْتَاكُوا عَرْضًا، وادَّهِنوا غبًا، واكْتَحِلُوا وِتْرًا».

الحديث لا أصل له، أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٩٨) وقال: «قال ابن الصلاح: بحثت عنه فلم أجد له أصلاً ولا ذكرًا في شيء من كتب الحديث». اهـ.

١٢٤- « اتَّقِ شَرَّ مَن أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ».

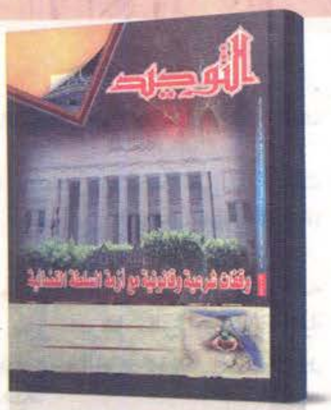
الحديث لا أصل له، أورده السخاوي في «المقاصد» (ح٢٥) وقال: «لا أعرفه».

١٢٥- « ثلاثٌ من السُّنَّة: الصَّفُّ خلف كل إمامٍ، لك صلاتك وعليه إثمه؛ والجهاد مع كلِّ أمير، لك جهادك وعليه شرُّه؛ والصَّلاة على كل ميِّتٍ من أهل التَّوحيد، وإن كان قاتلَ نفسه» عن ابن مسعود مرفوعًا.

الحديث لا يصح: أخرجه الدارقطني في «السنن» (١٩٦/٢) (ح١٧٤٥)، وفيه عمر بن صبح، ذكره الذهبي في «الميزان» (٦١٤٦/٢٠٦/٣)، ونقل عن الأزدي أنه كذاب، كذلك قال ابن حبان في «المجروحين» (٨٨/٢): كان ممن يضع الحديث على الثقات، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب لأهل الصنعة فقط. اهـ.

١٢٦- « مَا فَضَلَ أبو بكر النَّاسَ بكثرةِ صيامٍ، ولا صلاةٍ، ولا بكثرة روايةٍ، ولا فَتْوى، ولا كلام، ولكن بشيءٍ وقر في صدرِه».

الحديث لا أصل له مرفوعًا: قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢٤/١): «أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني، ولم أجده مرفوعًا».



وقفات مع أزمة السلطة القضائية

إعداد / المستشار / أحمد السيد على

الحمد لله حمدا لا ينفد أفضل ما ينبغي أن يُعبد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد:

فقد كثر الحديث في الفترة السابقة عن القضاء، واستقلاله، وطفت على السطح الساخن مصطلحات بعضها قديم والآخر مستحدث، مثل تطهير القضاء، وتوريثه، وتجريم التعليق على أحكام القضاء... إلخ، ومع توالي الأحكام ببراءة أركان النظام السابق، وشروع مجلس الشورى في استصدار قانون جديد للسلطة القضائية يخفض سن الإحالة للمعاش، اشتدت حدة المواجهات بين القضاة والبرلمان، وانقسم المصريون إلى مؤيد لأحدهما ومعارض للآخر، ولنا مع هذه الأزمة الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: شروط وصفات القاضي في الشريعة الإسلامية:

جاء في كتاب النظام القضائي في الإسلام وهو أحد منشورات وزارة الأوقاف السعودية على موقعها الإلكتروني:

«يشترط الفقهاء في القاضي جملة من الشروط والمواصفات التي ينبغي توافرها في شخصيته؛ لكي يتمكن من أداء مهمته على الوجه الأكمل، وهذه الشروط هي:

أولا: البلوغ:

فلا يجوز تقليد الصبي القضاء، وإذا قُلد فلا يصح قضاؤه ولا ينفذ؛ لأنه لا ولاية للصبي على نفسه، فلا تكون له ولاية على غيره بالقضاء ونحوه.

ثانيا: العقل:

فلا يجوز تقليد المجنون أو المعتوه أو مختل النظر؛ لكبر السن أو مرض، وإذا قلد أحد هؤلاء فلا يصح قضاؤه ولا ينفذ، قال الماوردي في هذا الشرط: (وهو مجمع على اعتباره).

ثالثا: الحرية:

والمراد كمالها، فلا يجوز تقليد من فيه شائبة رقٍّ، وإذا قلد القضاء فلا يصح قضاؤه ولا ينفذ.

رابعا: الإسلام:

وذلك لأن القضاء ولاية، ولا تجوز ولاية الكافر على المسلم، قال تعالى: «وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» [النساء: ١٤١]، ثم إن القاضي يطبّق أحكام الشريعة الإسلامية، وهي دين، وتطبيق الدين يحتاج إلى إيمان به مِن قِبل مَن يطبّقه، وخوف من الله يمنعه من الحيدة عن التطبيق السليم لأحكامه، ولا يتأتى ذلك من غير المسلم الذي لا يؤمن بهذا الدين، بل يحمله كفره بالإسلام على تعمد مخالفة أحكامه أو العبث بها. ولا خلاف بين الفقهاء في اشتراط الإسلام في من يتولى القضاء على المسلمين.

خامسا: الذكورة:

وهي شرط عند جمهور الفقهاء، فلا يجوز عندهم تولية المرأة القضاء، وإذا وُلّيت يأثم المولي، وتكون ولايتها باطلة، وقضاؤها غير نافذ، ولو فيما تقبل فيه شهادتها. وحجتهم الحديث النبوي الشريف: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) [رواه البخاري]؛ ولأن المرأة لا تصلح للإمامة العظمى أي رئاسة الدولة، ولا الولاية على البلدان، ولهذا لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من خلفائه

الراشدين من بعده أنهم ولوا امرأة قضاء ولا ولاية بلد، ولو جاز ذلكم لوقع ولو مرة واحدة.

سادساً: العدالة:

وهي معتبرة في كل ولاية عند جمهور الفقهاء، والمقصود بها أن يكون القاضي قائمًا بالفرائض والأركان، صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفًا عند المحارم، متوقيًا المآثم بعيداً عن الريب، مستعملاً لمروءة مثله في دينه ودنياه. لهذا لا تجوز ولاية الفاسق للقضاء؛ لأنه مُتَّهَم في دينه، والقضاء أمانة من أعظم الأمانات.

سابعاً: الاجتهاد:

وهو الأهلية لاستنباط الأحكام من مصادر التشريع، وهو شرط عند جمهور الفقهاء، فلا يُولَّى الجاهل بالأحكام الشرعية، ولا المقلد؛ لأنه لا يصلح للفتوى، فلا يصلح للقضاء بالأولى، قال تعالى: « وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ » [المائدة: ٤٩]. (انظر الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي ٨/ ٨٢).

ثامنا: سلامة الحواس:

والمراد بها السمع والبصر والكلام: وهذا شرط جواز وصحة عند جمهور العلماء، فلا تجوز تولية الأصم؛ لأنه لا يسمع كلام الخصمين، ولا تجوز تولية الأعمى لأنه لا يعرف المدعي من المدعى عليه، ولا المقر من المقَر له، ولا الشاهد من المشهود له أو عليه، ولا تجوز تولية الأخرس؛ لأنه لا يمكنه النطق بالحكم، ولا يفهم جميع الناس إشارته؛ أما سلامة باقي الأعضاء فهي هنا إنما تعتبر استحبابًا لا لزومًا؛ لأن السلامة من الآفات أهيب لذوي الولاية.

صفات القاضي:

قال الشيخ يحيى بن موسى الزهراني في مقاله القيم «قضاة على شفير جهنم»: «أن يكون عالماً بما يبلغ، صادقاً فيما يخبر، ويكون حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله، لا يراعي إنساناً لمكانته، ولا أحدًا لقرابته، فقد قال صلى الله عليه وسلم: « وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » [متفق عليه].

الوقفة الثانية: تشكيل المنظومة القضائية المصرية:

تتشكل المنظومة القضائية المصرية من الهيئات القضائية الآتية:

١- القضاء العادي: تختص محاكمه بالفصل في كافة المنازعات والجرائم، إلا ما استثني بنص خاص، ولها دون غيرها الحق في رفع الدعوى الجنائية ومباشرتها ما لم ينص القانون على خلاف ذلك.

٢- مجلس الدولة: يختص بالفصل في المنازعات الإدارية، أي التي تنشأ بين الدولة (جهة الإدارة) والأفراد.

٣- المحكمة الدستورية العليا: تختص المحكمة الدستورية العليا دون غيرها بالرقابة القضائية على دستورية القوانين واللوائح، وتتولى تفسير النصوص التشريعية.

٤- هيئة قضايا الدولة: تختص بالدفاع عن الدولة بسلطاتها الثلاث، التنفيذية، والتشريعية، والقضائية، فيما يرفع منها، أو عليها، من دعاوى أمام جميع المحاكم، داخل مصر، وخارجها.

٥- هيئة النيابة الإدارية:- تختص النيابة الإدارية بالتحقيق في الجرائم التأديبية - المالية والإدارية، والتحقيق مع العاملين المدنيين بالدولة الخاضعين لأحكام قوانين العاملين المدنيين بالدولة، والتحقيق مع العاملين بالهيئات العامة، والعاملين بالجمعيات والهيئات الخاصة التي يصدر بتحديدها قرار من رئيس الجمهورية.

كما يعاون القضاء في تحقيق العدالة الجهات المعاونة الآتية:

١- المحامون، ٢- الخبراء، ٣- الطب الشرعي، ٤- الشهر العقاري.

الوقفة الثالثة: معوقات في طريق العدالة:

هناك الكثير من المعوقات التي تحول بين العدالة ومستحقيها، لعل من أبرزها المعوقات الآتية:

١- تنحية الشريعة وتحكيم القوانين الوضعية:

فما زال الناس يرزحون تحت نير الظلم، منذ أن نُحيت الشريعة الإسلامية عن التطبيق في بلاد الإسلام عامة وفي مصر خاصة، مصداقًا لقوله تعالى: « ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » [الروم: ٤١]. فكثر الظلم وكثر المظلومون، وامتلأت دور المحاكم بملايين القضايا، حتى صرح أحد وزراء العدل السابقين أن عدد القضايا المتداولة أمام المحاكم المصرية فاق العشرة ملايين قضية، مما يعني أن أكثر من ثلاثين ملايين مصري يدخلون قاعات المحاكم سنويًا!!! والبعض منهم يلجأ إلى العنف للحصول على حقه، بعد أن يأس من الحصول عليه بالقوانين الوضعية.

٢- تغير مفهوم ولاية القضاء:

كما أن الشريعة الإسلامية قد رغّبت في تولي

القضاء للقادر عليه، فقد رهّبت من توليه غير القادر على القيام بحقه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جُعل قاضيًا بين الناس فقد ذُبح بغير سكين» [رواه الخمسة وصححه الألباني]، وعن عبدالله بن أبي أوفى، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ اللهَ معَ القاضي ما لم يَجُرْ فإذا جارَ وَكلَه إلى نفسه» [رواه ابن ماجه حسنه الألباني]، وفي رواية للترمذي « إنَّ اللهَ مع القاضي ما لم يَجُرْ. فإذا جار تخلّى عنه ولزمَه الشيطانُ » [حسنه الألباني]، وعن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « القضاةُ ثلاثةٌ: واحدٌ في الجنَّة، واثنانِ في النّار ؛ فأمَّا الَّذي في الجنَّة، فرجلٌ عرَفَ الحقَّ فقضى بهِ. ورجلٌ عرفَ الحقَّ، فجارَ في الحكم، فهوَ في النّارِ، ورجلٌ قضى للنّاسِ على جهلٍ فهوَ في النّارِ» [رواه أبو داود وصححه الألباني].

وقد انقلب هذا المفهوم عند كثير من المتقدمين لشغل وظيفة في الهيئات القضائية المختلفة، فحرص كثير منهم على التقدم لنيل هذه الوظيفة طلبًا للوجاهة الاجتماعية، والمكانة الأدبية، والراتب الكبير، والحصانة من المساءلة!! وأصبح الحرص على إقامة العدل بين الناس، ورفع الظلم عن كاهلهم، غايةً لا تُدرك عند الكثيرين.

٣- ضعف المستوى الشرعي واللغوي والقانوني للعاملين بالقضاء :-

فحينما يكون القاضي متمكنًا من النواحي الشرعية، واللغوية، والقانونية، فإن المتقاضين سيرتضون بحكمه، ومن ثم فلن تكون هناك حاجة للطعن على أحكامه، ولكننا الآن نرى العجب العجاب من بعض المنتسبين إلى الحقل القانوني من القضاة والمحامين، فمنهم من يخطئ في تلاوة كتاب الله تعالى، بل وصل الحال بأحدهم أن يؤلف آية من عنده حيث قال: « وتمسكوا وأقيموا العدل ولا تخافوا إن الله مع كل مؤمن صادق الوعد»، ومنهم من يخطئ أخطاء فاحشة في اللغة العربية فينصب المرفوع، ويرفع المنصوب!! ومنهم من يخطئ أخطاء قانونية فاحشة تتنافى مع أبسط القواعد القانونية التي تعلمها في كليات الحقوق!!

٤- بطء التقاضي:-

فالعدالة البطيئة ظلم، وهذه حقيقة لا تخطئها العين؛ حيث إن المحاكم تذخر بالعديد من القضايا التي تجاوز عمر الواحدة منها العشرين عامًا، وجل القضايا المتداولة أمام القضاء العادي والإداري تمكث عدة سنوات للفصل فيها، وربما مات رافعو هذه الدعاوى دون أن يفرحوا بكسبها، وقام ورثتهم باستكمال السير فيها، وترجع هذه الآفة إلى الآتي:

أ- بعض القضاة: والذين يقومون بتأجيل بعض القضايا أكثر من مرة؛ أملاً في أن يتصدى غيرهم للفصل فيها، بعد تركهم للدائرة في نهاية عملهم بها.

ب- كثرة القضايا أمام القضاء بصورة تُعجزهم عن الفصل فيها بصورة صحيحة.

ج- بعض المحامين: ممن عندهم لدد في الخصومة، وينكلون بخصومهم متناسين قوله تعالى: «إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا» [النساء: ١٠٥].

٥- الامتناع عن تنفيذ الأحكام القضائية:

وهي جريمة معاقب عليها بنص المادة ١٢٣ من قانون العقوبات، إلا أن المادة بها قصور، وتحتاج إلى تعديل تشريعي؛ حيث أنها قاصرة على الموظف العمومي فقط، ولا تشمل غيره من آحاد الناس أو المسئولين الذين لا ينطبق عليهم صفة الموظف العام.

٦- عدم مواكبة المستجدات العصرية الحديثة في العمل القضائي:

ويتضح ذلك جليًا فيما أظهرته الثورة من مآس حينما أحرقت المحاكم، وأقسام الشرطة، ووحدات المرور، وضياع حق كثير من الناس لعدم ميكنة هذه الجهات، والاعتماد على السجلات الورقية، والتي أتت عليها النيران، مما سبب العنت لكثير من أصحاب القضايا.

الوقفة الرابعة: تساؤلات وردود:-

ظهرت بعد الثورة مصطلحات عدة، بعضها حق، وبعضها باطل، ومنها الآتي:

١- تطهير القضاء: لكوننا نتحدث عن بشر وعن مؤسسة بشرية، لذلك فإن النقص والتقصير هما من لوازم هذا الإنسان بصرف النظر عن موقعه ووظيفته.. ولكن للموقع الحساس وللوظيفة الحيوية التي تقوم بها مؤسسة القضاء، تتأكد الحاجة إلى تفعيل الدور الرقابي والمحاسبي للقضاء والقضاة.. فلا تطوير للقضاء إلا بتطوير القاضي نفسه علميًا وأخلاقيًا وسلوكيًا.. والقاضي

الذي يقع تحت إغراء المال أو مقتضيات القرابة ينبغي يُعاقَب، وذلك للحفاظ على مؤسسة القضاء نزيهة وبعيدة عن كل أشكال الانحراف والفساد.. لأن فساد القاضي مع السكوت عنه، يُفضي إلى مخاطر ومفاسد عديدة..

إننا ندعو إلى محاسبة المرتكب، وتطوير الأداء الرقابي تجاه المؤسسة القضائية؛ لأنها حجر الأساس في مشروع صيانة العدالة الاجتماعية، ومنع التعدي على الحقوق العامة والخاصة.. وبمقدار ما ندعو إلى احترام مؤسسة القضاء، بذات القدر ندعو إلى محاسبة المقصرين، ومعاقبة المسيئين للقضاء ومؤسسته.

٢- توريث القضاء:

ويل لمن غشَّ الله ورسوله وغشَّ المسلمين، فقد جاء الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لمن فعل ذلك. وعلى ذلك فيجب على كل من ولي شيئاً من أمر المسلمين أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه، وأمثلهم وأفضلهم؛ أداء للأمانة، وبعداً عن الخيانة. [الموسوعة الفقهية ٤٥/١٤٦].

٣- تجريم التعليق على أحكام القضاء: وقد أطلق البعض مقولة «لا يجوز التعليق على أحكام القضاء» لآحاد الناس، وجعلوا التعليق عليها بالطعن عليها أمام المحاكم المختصة، وذلك لإضفاء نوع من القداسة عليها، وهذا غير صحيح من الناحية الشرعية والقانونية؛ لأن القداسة لكتاب الله وللصحيح من سُنة رسوله صلى الله عليه وسلم إذ إن الله « لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ » [الأنبياء: ٢٣] كما أن رسوله « وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ » [النجم: ٣ - ٤]، أما أعمال البشر فليست محصنة من النقد، كما أنه لا يوجد بالقانون ما يمنع ذلك صراحة.

٤- الحكم عنوان الحقيقة: الأصل أن الله تعبدنا بالدليل وليس بالواقع وحقيقة الأمر، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّما أنا بَشرٌ، وإنكم تختَصِمونَ إليَّ، ولعلَّ بعضَكم أن يَكونَ ألحَنَ بحُجَّته منَ بعض، فأقضيَ له على نحوِ ما أسمَعُ منهُ، فمن قضَيتُ له من حقِّ أخيهِ بشيءٍ فلا يأخُذْ منهُ شيئًا، فإنَّما أقطعُ له قطعةً منَ النَّار» [رواه أبو داود وصححه الألباني]، فقد بيَّن النبيّ صلى الله عليه وسلم أن القاضي يحكم بالدليل، والقرائن، وفق ما تعبدنا الله به، ولا يُكلَّف بالبحث عن حقيقة الأمر؛ لأنه أمر غيبي لا يطلع عليه إلا الله، فإذا اجتهد فأصاب الحق فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر، فحكم القاضي إن كان مبنيًا على الأدلة والقرائن فهو عنوان الحقيقة الظاهرة، أما إن لم يبن على الدليل والقرائن والبراهين فليس عنوانًا للحقيقة، ومن ثم يتضح خطأ هذه المقولة بالنسبة للمخالفة الصارخة للقانون.

الوقفة الخامسة: مقترحات إصلاح المنظومة القضائية:

١- مراجعة القوانين القائمة: سواء المخالفة للشريعة الإسلامية، أو المتعلقة بالأمور التنظيمية والتي تسبب المشقة والعنت للناس، والحمد لله أن يسَّر للناس علماء عاملين استطاعوا أن يقننوا الشريعة الإسلامية، ونسأل الله أن ييسر لهم من يسعى لتطبيقها بين الناس.

٢- العودة إلى نظام التكليف: حيث كان هذا النظام متبعًا في ثمانينيات القرن المنصرم، حيث كانت وزارة العدل تقوم بتعيين أوائل كليات الحقوق والشريعة والقانون بالهيئات القضائية، دون سعي منهم، وبذلك نضمن ألا يحتل هذه المناصب إلا من يستحقها، وكذلك الحال في الدفعات الاستثنائية يتم تكليف أصحاب الدراسات العليا من خريجي هذه الكليات.

٣- المسارعة في إنشاء الأكاديمية القضائية: وذلك لتأهيل أعضاء الهيئات القضائية على العمل القضائي ودراسة أحدث الأساليب التي تعينهم على عملهم، على أن يلتحق بها خريجو كليات الحقوق والشريعة والقانون لمدة سنتين على الأقل يُمنح بعدها الدارس ماجستير العمل القضائي.

٤- المسارعة في إصدار قوانين الهيئات القضائية المكملة للدستور الجديد: حيث إن الدستور المصري الجديد قد عدل في اختصاصات الهيئات القضائية، بما يستوجب تعديل قوانين تلك الهيئات لتستكمل مسيرة القضاء على الفساد المستشري في جسد الأمة المتهالك.

٥- المسارعة في إنشاء الشرطة القضائية: وذلك لحماية دور المحاكم من الانتهاكات شبه اليومية التي تحدث بها، وللمسارعة في تنفيذ الأحكام القضائية الصادرة عن المحاكم المختلفة.

والله أسأل أن يُبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويُحكم فيه بشريعته، ويهدى فيه أهل معصيته.

والحمد لله رب العالمين.

منزلة الصحابة رضي الله عنهم في الكتاب والسنة

فضيلة الشيخ الدكتور
إعداد/ أسامة بن عبدالله خياط
إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة

الحمد لله الذي أعزّ أولياءَه، وجعل لهم في قلوب الخلائق وُدًّا، أحمده -سبحانه- القاهرُ فوق عباده والأعزُّ جُندًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولم يتّخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأشهد أن سيّدَنا ونبيّنَا محمدًا عبدُه ورسوله أتقى الخلق طرًّا وأسخاهم يدًا، اللهم صلِّ وسلّم عليه وعلى آله وصحبه صلاةً وسلامًا دائمَين أبدًا.

أما بعد: فاتقوا الله -عباد الله-، واعبُدوه واشكُروا له وأنيبُوا إليه، واعلموا أنكم مُلاقوه، فأعدُّوا لهذا اليوم عُدّته: (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ) [لقمان: ٣٣].

من ثمرات الإيمان محبة المؤمنين:

أيها المسلمون: إن آثار الإيمان الصادق والعمل الصالح الذي يُبتغَى به وجهُه -سبحانه-، ويُقتدَى فيه بنبيّه -صلوات الله وسلامُه عليه- لتربُو على العدِّ، وتجلُّ عن الحصر، وإن من حُلو ثمار الإيمان وطيب غراسه ما يجعل الله لأهله في قلوب خلقه من محبّة راسخة، ووُدٍّ مكين: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا) [مريم: ٩٦].

محبة المؤمنين دليل محبة الله:

وأعظمُ ما في هذا الوُدِّ - يا عباد الله- أنه آيةٌ بيّنة على حبّ الله تعالى، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان في صحيحيهما -واللفظ لمُسلم رحمه الله- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن اللهَ إذا أحبّ عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحبُّ فلانًا فأحبَّه»، قال: «فيُحبُّه جبريل، ثم يُنادي في السماء فيقول: إن اللهَ يحبُّ فلانًا فأحِبُّوه، فيُحبُّه أهلُ السماء، ثم يُوضعُ له القبولُ في الأرض، وإذا أبغضَ عبدًا دعا جبريلَ فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه، فيُبغضه جبريل، ثم يُنادي في أهل السماء: إن اللهَ يُبغض فلانًا فأبغضُوه»، قال: «فيُبغِضُونه، ثم يُوضَع له البغضاءُ في الأرض».

ويقول التابعيُّ الجليلُ زيدُ بن أسلم العدويُّ -رحمه الله-: «من اتّقى اللهَ أحبّه الناسُ ولو كرهوا»، أي: أن لا تجدُ في الناس إلا مُحبًّا له، مُثنيًا عليه، مادحًا له، ولو أراد بعضُهم أن يُبغضه لم يستطِع إلى ذلك سبيلاً.

ولا عجبَ، فهذه عاقبة الإيمان والتقوى التي أورثت أهلَها منزلةَ الولاية التي بشّرهم بها ربُّهم، وأخبرَ أنهم لا يخافُون ما يستقبلون من أهوال يوم القيامة، ولا يحزَنون على ما تركوا خلفَهم في الحياة الدنيا: (أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ) [يونس: ٦٢، ٦٣].

كما بلغَ من كريم مقامِهم عند مولاهم

منبر الحرمين

-سبحانه- أن جعل من ناصبهم العداء مُحاربًا له -عز وجل-، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله تعالى قال: من عادَى لي وليًا فقد آذنتُه بالحرب...». الحديث. أي: أعملُ به ما يعملُه العَدوُّ المُحاربُ. والمقصودُ: أنه تعرّض بهذه المُعاداة لإهلاك الله إياه.

وفيه -كما قال أهل العلم-: تهديدٌ شديدٌ؛ لأن من حاربَه الله أهلكَه. وإذا ثبتَ هذا في جانب المُعاداة، ثبتَ في جانب المُوالاة أيضًا؛ فمن والَى أولياء الله أكرمَه الله.

الصحابة أعظم من تجب موالاتهم:

وإن من أعظم من تجبُ محبّتُه ومُوالاتُه -يا عباد الله-، ويجبُ الحذرُ من مُعاداته: صحابةُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذين اختارَهم الله لصُحبة نبيّه -عليه الصلاة والسلام-، وجعلَهم نَقَلَة دينه، وحمَلَة كتابه، ورضيَ عنهم وأفاضَ في الثناء عليهم وتزكيتهم، فقال -عزّ اسمُه-: (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) [التوبة: ١٠٠].

وقال -سبحانه-: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا). الآية [الفتح: ٢٩]، وقال -عز وجل-: (لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) [الفتح: ١٨]، وقال تعالى: (لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [الحديد: ١٠].

آداب التعامل مع الصحابة الكرام:

نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن سبِّ أحدٍ منهم، مُبيّنًا أنه لا يبلغُ أحدٌ من المُسلمين مبلغَهم في المنزلة والفضل ولو أنفقَ ما أنفقَ من ماله، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «لا تسبُّوا أصحابي؛ فلو أن أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحدٍ ذهبًا ما بلغَ مُدَّ أحدهم ولا نصيفَه». أخرجه الشيخان في صحيحيهما.

وفي الصحيحين أيضًا من حديث عمران بن حُصين -رضي الله عنه- أن رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلُونَهم، ثم الذين يلُونَهم». قال عمران: فلا أدري أذَكَر بعد قرنه قرنَيْن أم ثلاثة.

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخُدري -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يأتي على الناس زمانٌ فيغزُو فِئامٌ من الناس، فيقولون: هل فيكم من صاحبَ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم-؟! فيقولون: نعم، فيُفتحُ لهم. ثم يأتي على الناس زمانٌ فيغزُو فئامٌ من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحبَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فيقولون: نعم، فيُفتَحُ لهم. ثم يأتي على الناس زمانٌ فيغزُو فئامٌ من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحبَ من صاحبَ أصحابَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟! فيقولون: نعم، فيُفتَحُ لهم».

وبيّن رسولُ الهُدى -صلوات الله وسلامه عليه- أن حُبَّ الأنصار من علامة الإيمان الصادق، وأن بُغضَهم من علامات النفاق، فقال -صلوات الله وسلامه عليه-: «آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بُغضُ الأنصار». أخرجه الشيخان في صحيحيهما.

منبر الحرمين

ومن ثَمَّ كانت هذه النصوصُ الصحيحة الصريحة مُستنَد أهل الحقِّ في موقفهم من صحابة خير الورَى -صلوات الله وسلامه عليه-، فقال الإمام الطحاويُّ -رحمه الله-: «ونحبُّ أصحابَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا نُفرِطُ في حبِّ أحد منهم، ولا نتبرَّأ من أحد منهم، ونُبغِضُ من يُبغِضُهم وبغير الحقِّ يَذكُرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبُغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان».

وإنما كان حبُّهم دينًا وإيمانًا وإحسانًا -يا عباد الله-؛ لأنه امتثالٌ لأمر الله وأمر رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ولأنهم نصروا دينَ الله، وجاهَدوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبذلوا في ذلك الدماءَ والأموال والأرواحَ؛ فكان لهم على الأمة في أعقاب الزمن -مع كمال المحبَّة لهم- دوامُ العناية بسِيَرهم، للإسفار عن وجه جمالها وجلالها، وما حفَلَت به من مناحي السُّمُوِّ والشرَف والرِّفعة، ومعالِم الأُسوة والقُدوة.

والإمساكُ عن الخوض فيما شجَرَ بينهم، والكفُّ عن الحديث عما وقعَ بينهم، واعتقادُ أنهم مُجتهدون مأجورون في كل ذلك، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجزاهم عن الإسلام وأهلِه خيرَ ما يجزِي عبادَه الأبرارَ المتقين الأخيار.

وجوب الاستنان بسننهم ومعرفة فضائلهم:

فيا عباد الله: جاء عن الصحابيِّ الجليل عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قولُه: «من كان منكم مُستنًّا فليستَنَّ بمن قد ماتَ؛ فإن الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنة، أولئك أصحابُ محمد -صلى الله عليه وسلم-، كانوا أفضلَ هذه الأمة، وأبرَّها قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، قومٌ اختارَهم الله لصُحبة نبيِّه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتَّبِعوهم في آثارهم، وتمسَّكوا بما استطعتُم من أخلاقهم ودينهم؛ فإنهم كانوا على الهُدى المُستقيم».

وجاء عنه -رضي الله عنه- أيضًا قولُه: «إن اللهَ تعالى نظرَ في قلوب العباد، فوجدَ قلبَ محمد -صلى الله عليه وسلم- خيرَ قلوب العباد، فاصطفاهُ لنفسِه، وابتعثَه برسالتِه، ثم نظرَ في قلوب العباد بعد قلب محمد -صلى الله عليه وسلم-، فوجدَ قلوبَ أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلَهم وُزراءَ نبيِّه، يُقاتِلون على دينه».

فاتقوا الله -عباد الله-، واعرفوا لهؤلاء الصحب الكرام حقَّهم وفضلَهم وسابقتَهم، فلَمُقام أحدهم ساعة مع النبي -صلى الله عليه وسلم- كما يقول حبرُ الأمة عبد الله بن العباس -رضي الله عنهما-: «لَمُقامُ أحدهم ساعة مع النبي -صلى الله عليه وسلم- خيرٌ من عمل أحدكم أربعين سنة». وفي رواية: «خيرٌ من عبادة أحدكم عُمُره».

واذكروا على الدوام أن الله تعالى قد أمرَكم بالصلاة والسلام على خير الورَى، فقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن خُلفائه الأربعة: أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، وعن سائر الآلِ والصحابة والتابعين، ومَن تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بعفوك وكرمكَ وإحسانك يا خيرَ من تجاوزَ وعفا.

اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين، واحمِ حوزةَ الدين، ودمِّر أعداء الدين، وسائرَ الطُّغاة والمُفسدين، وألِّف بين قلوب المسلمين، ووحِّد صفوفَهم، وأصلِح قادتَهم، واجمع كلمتَهم على الحق يا رب العالمين.



الحدود
رحمة من الله

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فإنَّ طبيعة البشر أن يكون لهم إرادات متباينة ونزعات مختلفة، فمنها نزعات إلى الحق والخير، ومنها نزعات إلى الباطل والشر. قال تعالى: «إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ» [الليل: ٤].

ولما كانت النزعات إلى الباطل والشر في ضرورة إلى ما يكبح جماحها، ويخفف من حدتها من وازع إيماني أو رادع سلطاني، جاءت النصوص الكثيرة بالتحذير من الباطل والشر، والترغيب في الحق والخير وبيان ما يترتب على الباطل والشر من مفاسد في الدنيا وعقوبة في الآخرة، وما يترتب على الحق والخير من مصالح في الدنيا ومثوبات نعيم في الآخرة، ولكن لما كان هذا الوازع لا يكفي في إصلاح بعض النفوس الشريرة الموغلة في الباطل والشر وكبح جماحها، والتخفيف من حدتها، فرض ربُ العالمين برحمته وحكمته عقوبات دنيوية وحدودًا متنوعة بحسب الجرائم؛ لتردع المعتدي وتُصلِح الفاسد، وتقوِّم الأعوج، وتُطهر الملة وتستقيم الأمة وتكفر جريمة المجرم فلا تجتمع له عقوبة الآخرة مع عقوبة الدنيا، من أجل ذلك كله فرض الله الحدود وشرعها.

عدل الإسلام في الأحكام:

أوجب الله تعالى على ولاة الأمور إقامة الحدود على الشريف والوضيع، والغني والفقير، والذكر والأنثى، والقريب منهم والبعيد.

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم». [صحيح ابن ماجه: ٢٠٥٨].

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن أسامة كَلَّم النبي صلى الله عليه وسلم في امرأة، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحدَّ على الوضيع، ويتركون الشريف، والذي نفسي بيده لو أنَّ فاطمة فعلتْ ذلك لقطعتُ يدها». [البخاري: ١٢/٨٦/٦٧٨٧].

وعنها أيضًا - رضي الله عنها -: أن قريشًا أهمتهم المرأةُ المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يُكلِّمُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؟! ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟» ثم قام فخطب، فقال: «يا أيها الناس، إنما ضلَّ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيفُ فيهم أقاموا عليه الحدَّ، وأيمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمدٌ يدها». [متفق عليه: البخاري ١٢/٨٧/٦٧٨٨، ومسلم: ٣/١٣١٥/١٦٨٨].

الله أكبر. هكذا الحق، أشرف النساء نسبًا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم سيدة نساء أهل الجنة، ويقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق البارّ أن لو سرقت لقطع يدها، أين الثرى من الثريا، أين هذا القول وما كان عليه الناس اليوم من المماطلات في إقامة الحدود والتعليلات الباردة والمحاولات الباطلة لمنع إقامة الحدود!!

وفي الحديث عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدودِ الله، فقد ضادَّ

الله في أمره، ومن مات وعليه دينٌ فليس بالدينار والدرهم، ولكن بالحسنات والسيئات، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه، لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبال، حتى يخرج مما قال، وليس بخارج». [صحيح الجامع: ٦١٩٦].

كمال الشريعة ودورها الإصلاحي في المجتمع:

ومع هذا الوعيد الشديد فقد تعالت صيحات من هنا وهناك تتكاتف لتحول بين تطبيق حدود الله؛ بحجة أن هذا لا يتناسب في هذا الزمان!!

إنَّ شريعة الإسلام شرعها رب العالمين جامعة شاملة مانعة، ليس فيها نقص ولا زيادة، تمثلت فيها قدرة الخالق وعظمته وكماله، وإحاطته وعلمه وبقاؤه، فجعلها باقية ما بقيت الدنيا، ومحيطة بكل متطلبات الناس في كل زمان ومكان، لم تكن لجماعة دون جماعة، ولا لإقليم دون آخر، ولا لدولة دون دولة، وإنما هي للناس كافة؛ عجمهم وعربهم، وأسودهم وأبيضهم، لا يؤثر عليها مرور الأزمنة، ولا تتنافى مع التقدم، بل تنظمه وتصلحه، وتوجّهه الوجهة النافعة بلا ضرر، ولقد أدت شريعة الإسلام وظيفتها حينما كان المسلمون متمسكين بها عاملين بأحكامها، فصنعت أمة هي خير الأمم، وكوَّنت قرنًا هو أفضلُ القرون، فلما تركها المسلمون رجعوا القهقرى، وفاتهم التقدم والرقي.

جمع الشريعة بين الرحمة والحزم:

ومن أروع الأمثلة من الصدر الأول ما جاء عن سليمان بن بريدة، عن أبيه: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم جاءته امرأةٌ من غامد من الأزد، فقالت: يا رسول الله، طهِّرني. فقال: «ويحك، ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه» فقالت: أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك. قال: «وما ذاك؟» قالت: إنها حُبلى من الزنا. قال: «أنْت؟» قالت: نعم. فقال لها: «حتى تضعي ما في بطنك» قال: فكفلها رجلٌ من الأنصار حتى وضعت، قال: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد وضعت الغامدية. فقال: «إذن لا نرجمها وندعُ ولدها صغيرًا ليس له من يُرضعه». فقام رجلٌ من الأنصار، فقال: إليَّ رضاعُهُ يا نبيَّ الله. قال: فرجمها». [مختصر مسلم: ١٠٣٩].

ومن هنا يعلم أنَّ الدِّين لا يقفُ متربصًا من أجل أن تزلَّ قدمٌ ليُجهزَ على صاحبها، ولكنه يمنحُ الفرصَ تلو الفرص من السِّتر المحدود ليرشد الضالَّ ويصلح العاصي، إنه يُؤثرُ ستر طالبي الستر، ويدرأ الحدود بالشبهات، ويفتح منافذ الأمل لمستقبل يتوبون فيه إلى ربهم.

الحدود تربي الضمائر وتهذب الأخلاق:



ولا شك أنَّ فوائد الحدود تعم بركتها على البشر، حتى الذي أُقيم عليه الحدّ. فإقامة الحدود تربي الضمائر، وترقق الطباع، وتهذِّب الأخلاق، وتصدُّ عن طريق الشر وترشد إلى طريق الخير، وتكسرُ شوكة الباطل من النفوس، وتحمل على القناعة بالرزق المباح وإن قلَّ، وتكسر سَوْرَة الحسد والنظر إلى ما في أيدي الناس، وتنشر الأمن والاستقرار، وتسبِّب الرضا والخيرات، وتحث على التوبة إلى الله والاستقامة، فالقطع في السرقة واعظٌ ملازم، وزاجرٌ مشاهَد، من رآه اتعظ به؛ فبقطع واحد يَصْلح ملايين، وتستقر أقاليم، وتتعظ أمم.

في شرائع القصاص والحدود حياة للأمم والأفراد:

والعجب كل العجب ممن يقول: إن القطع فيه شدة ولا يتفق مع المدنية المعاصرة!!

سبحان الله! وهل المدنية من حقها أن تنشر الفوضى، وتخل بالأمن، وتبث الإرهاب، وتغمط الحقوق، وتسعى بالظلم؟ هل هؤلاء أعرف بمصالح الناس من خالقهم؟ هل هم أرحم بالناس من ربهم؟

بل أقول: إنَّ شرائع القصاص والحدود بعضُ مظاهر الرحمة في هذا الدِّين، ويومَ قالت العربُ: القتلُ أنفى للقتل، قال القرآنُ الكريم عبارة أوجزَ لفظًا وأحكمَ أسلوبًا « وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ » [البقرة: ١٧٩].

نعم إنَّ في القصاص حياةً، حين يكُفُّ من يُهمُّ

بالجريمة عن الإجرام، وفي القصاص حياةٌ حين تشفى صدورُ أولياء القتيل من الثأر الذي لم يكنْ يقفُ عند حد لا في القديم ولا في الحديث، ثأرٌ تسيلُ معه الحياةُ على مذابح الأحقاد العائلية والثارات القبلية جيلاً بعد جيلٍ لا تكفُ الدماء عن المسيل.

في القصاص حياةٌ أعمُّ وأشملُ، حياةٌ تشمل المجتمع كله، حيث يسود البلاد الأمان الذي يصونُ الدماء، وإذا تأملنا البلاد التي تُحكم بشرع الله، وتقام فيها حدود الله، وجدنا الجرائم فيها قليلة ضئيلة لا تُذكر بالنسبة للجرائم والحوادث، في البلاد التي لا تحكم بشرع الله، ولا تقيم حدود الله؛ ذلك لأن من الناس صنفًا غليظًا لا يكفيه توجيه رفيق، ولا يكفيه وعظُ بليغ، بل لا تردعه إلا عقوبةٌ زاجرة، وقوةٌ صارمة، لذا كان لا بدَّ من سوط السلطان مع زواجر القرآن، فـ «إنَّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»، ومن ثَم يشيع الأمان، ويطمئن الإنسان، فالأمة التي فيها العزم والحزم وتحكم بشرع الله تعيش في أمن واستقرار، وراحة في النفس، واطمئنان في البدن، وحرية في العمل والانتقال، إذن فليس المراد من إقامة الحدود إيلام الجاني فقط، ولا منعه من العودة فقط، ولا تشفّي المجني عليه فقط، بل مع هذا يُراد إصلاح المجتمع، وتطهيره من الفوضى، وتنظيمه عن الغوغاء وحفظ كيانه من التردي والانهيار، وصيانته من الهبوط إلى مستوى الحيوان، الذي ينهش بعضه بعضًا، وينزو بعضه على بعض.

وأيضًا فإنَّ إقامة الحدود- متى وجبت- طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فكما أن المسلم يؤمن بأن الله خلق هذا الكون وأتقن نظامه، يجب عليه أن يؤمن بأنَّ الله أنزل هذا النظام وأتقن نظامه، وكما أنه يصلي ويصوم، ويزكي ويحج، طاعة لله، يجب أيضًا إقامة الحدود طاعة لله، ذلكم حكم الله أنزله إليكم، هذا الدستور الذي تكفل الله له بالخلود إلى أن تقوم الساعة، وتكفل لمن اتبعه وسار على منهجه بالعز والتمكين، خضعت له الجن والإنس طوعًا وكرهًا، طوعًا بالإيمان، والتصديق، وكرهًا بالفطرة والأمر الواقع، نظام الإسلام هو كتاب الله الذي « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» [فصلت: ٤٢].

من عشرات السنين اجتمعت هيئة الأمم المتحدة لدراسة نظمها وقوانينها، وكل مندوب قدم دستور بلاده من القوانين الوضعية، ولما جاء الدور لمندوب بلاد الإسلام مندوب الدولة المسلمة حقًا، رفع المصحف العظيم وقال: «هذا هو دستورنا»، فخضع له جميع الحاضرين من المسلمين وغيرهم، وحَنَوا صدورهم وأرخوا رءوسهم خضوعًا له وتعظيمًا، ولو قدم دستورًا من وضع البشر به فقرات ومواد لدخل في النقاش مثل غيره، ولكن كلام الله العظيم يقف عنده كل قول، وتذوبُ أمامه جميع المعارضات والأباطيل. «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » [النساء: ٨٢].



وأخيرًا من فوائد إقامة الحدود أنها كفارة لصاحبها.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: كُنا عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم في مجلس، فقال: «بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا- وقرأ هذه الآية كلها- فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعُوقب به فهو كفارتُهُ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله عليه، فهو إلى الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عاقبه». [متفق عليه: البخاري: ١/٦٤/١٨، ومسلم: ٣/١٣٣٣/١٧٠٩].

ومنها: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «حدٌّ يُعْمَل به في الأرض خيرٌ لأهل الأرض من أن يُمْطَرُوا أربعين صباحًا». [صحيح ابن ماجه: ٢٠٥٧].

اللهم: أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويُؤمَر فيه بالمعروف، ويُنهَى فيه عن المنكر، إنك سميع الدعاء.

من أنواع التربية المطلوبة: التربية الفكرية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
يقصد بالتربية الفكرية: تربية شباب الصحوة الإسلامية على فكر السلف، وتعميق المفاهيم الصحيحة في نفوسهم، وتحذيرهم من المفاهيم الخاطئة التي يتربى عليها شباب الإسلام في كثير من جماعات الدعوة الإسلامية، فتكون بذلك ثمرات التربية الصحيحة شباب تربوا على فكر السلف، وفهم السلف للكتاب والسنة، وكذا عندهم وقاية من الأفكار الخاطئة، والمفاهيم المخالفة لما كان عليه السلف رضي الله عنهم التي في الساحة الإسلامية، وهذا لا شك من البصيرة الواجبة في هذه المرحلة الراهنة، وعلى ذلك ينقسم البحث في هذا الباب إلى قسمين:

إعداد/ د. أحمد فريد

- مفاهيم صحيحة ينبغي أن يتربى عليها الشباب المسلم.
- مفاهيم خاطئة يجب التنبيه عليها والتحذير منها.

(أ) مفاهيم صحيحة ينبغي أن يتربى عليها الشباب المسلم:

ينبغي أن يتربى الشباب المسلم على الأدب مع الله عز وجل، ومع رسوله صلى الله عليه وسلم عملاً بقول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) (الحجرات: ١)، فيبدءون بالشرع، ثم يُخضعون العقل له، فيقدّمون الرواية على الدراية والنص الشرعي على النظر العقلي، ويعتقدون أنه لا يتعارض نصٌ صحيحٌ مع عقل صريح، ويعتقدون بأن الأوائل الذين عاصروا التنزيل، واكتحلت أعينهم برؤية البشير النذير -صلى الله عليه وسلم- كانوا أكثر دراية وفهمًا للشرع الحنيف، فالمعقول إذن ما وافق هديهم، والمجهول ما خالفه.

القاعدة الأولى من قواعد المنهج السلفي:

وهذا الأدب يوافق القاعدة الأولى من قواعد المنهج السلفي، وهي في الواقع أهم ما يميز أصحاب المنهج الصحيح والفكر السليم عن أصحاب المناهج المبتدعة التي تربى أبناؤها على الخروج على سلطان الكتاب والسنة، وتقديم الآراء والأهواء، وأقوال الشيوخ والمعظّمين على كلام الله عز وجل، أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا المنهج كان واضحًا عند الصحابة رضي الله عنهم فيقول عليّ رضي الله عنه: « لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخف أولى بالمسح من ظاهره».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: « يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وقال عمر؟!

قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) [الأحزاب: ٣٦]، وقال جل شأنه: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النور: ٦٣].

الأخذ بظاهر الكتاب والسنة ورفض التأويل الكلامي:

ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: الأخذ بظاهر الكتاب والسنة ورفض التأويل الكلامي، فظاهر الكتاب والسنة يجب القول به، والمصير إليه حتى يدل الدليل على أن الظاهر غير مراد.

قال شيخ الإسلام: «لفظ التأويل قد صار بسبب تعدد الاصطلاحات، له ثلاثة معان:

أحدها: أن يُراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى الذي يُراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة كقوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ

مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) [الأعراف: ٥٣]، ومنه قول عائشة رضي الله عنها: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده:» سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي». يتأول القرآن». [أخرجه البخاري (٨١٧، ٤٩٦٨)، ومسلم(٤٨٤)].

والثاني: يُراد بلفظ التأويل التفسير، وهذا اصطلاح كثير من المفسرين، ولهذا قال مجاهد- إمام أهل التفسير-:» إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه»، فإنه أراد بذلك تفسيره، وبيان معانيه، وهذا مما يعلمه الراسخون.

والثالث: أن يُرَاد بلفظ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى معنى آخر مرجوح يقترن بذلك، فلا يكون معنى اللفظ موافقاً لدلالة ظاهره، وهذا هو معنى التأويل عند المتأخرين، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف» [نقض المنطق (ص: ٥٦)].

ذمّ الغلو في العلماء والتعصب للمتبوعين:

ومما ينبغي أن يتربى عليه شباب الأمة: ألا يرفعوا أحدًا من علماء الأمة إلى منزلة لا تنبغي إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) [الحشر: ٧]، فرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده هو الذي نقبل كل ما قاله، وما ذهب إليه، وندع ما خالفه، أما من دونه صلى الله عليه وسلم من علماء المسلمين فيؤخذ من قوله ويُترك.

قال شيخ الإسلام: «إن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحد من الناس يُؤْخَذ من قوله ويُتْرَك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بهذا يتبين أن أحق الناس بأن يكونوا هم «الفرقة الناجية»: أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها، ومعرفة بمعانيها واتباعًا لها وتصديقًا وعملاً وحبًا وموالاةً لمن والاها ومعاداة لمن عاداها». [مجموع الفتاوى (٣ / ٣٤٦ - ٣٤٧) بتصرف].

فينبغي أن يتربى الشباب المسلم على أن يكون حبّهم للحق والسنة أكبر من حبهم للعلماء والمتبوعين، كما قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله: « شيخ الإسلام حبيب إلى قلوبنا ولكن الحق أحب إلينا منه».

فأهل الحق والسنة هم أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يدعى كل أناس بإمامهم؛ فإنهم في الحقيقة لم يتخذوا إمامًا دونه يأخذون كل ما جاء به، ويدَعُون ما خالفه، فكل إمام عندهم من أئمة المسلمين يُؤْخَذ من قوله ويُترَك، وكل كلام عارض عندهم الكتاب والسنة يُضْرَبُ به عرض الحائط.

عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة:

ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: محبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم وآل بيته الكرام، فمن خصائص أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله عز وجل بقوله:

(وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [الحشر: ١٠]

وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:» لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه». [أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠)].

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون من أنفق قبل الفتح -وهو صلح الحديبية - وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله عز وجل قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر -:» اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». [أخرجه البخاري (٤٢٧٢)، ومسلم (٢٤٩٤)].

وبأنه لا يدخل النار أحدٌ بايعَ تحت الشجرة؛ كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم [رواه مسلم (٢٤٩٦)]، بل وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس، وعكاشة بن محصن، والحسن والحسين، وخديجة، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم جميعًا، كما دلت الآثار، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله.

محبة أهل البيت وموالاتهم:

وكذا محبة أهل البيت وموالاتهم مما يخص أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب ٣٣)، وقال جل وعلا: «﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾» (الشورى: ٢٣)، وإجماع الأمة وتواتر الأخبار بشرع الصلاة عليهم في تشهد الصلاة، فيجب لذلك حبهم وتعظيمهم، وتوقيرهم واحترامهم، والاعتراف بمناقبهم؛ فإنهم أهل آيات المباهاة والمودة والتطهير، وأهل المناقب الجمة والفضل المشهور.

وجوب المحافظة على الجمعة والجماعات والأعياد:

ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: المحافظة على الجمعة والجماعات والأعياد، ولا يدعونها لأوهى الأسباب.

قال شيخ الإسلام: «ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يُصَلُّون الجمع والأعياد والجماعات، ولا يدعون الجمعة والجماعة، كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم. فإن كان الإمام مستورًا لم يظهر منه بدعة ولا فجور صلى خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة، وغيرهم من أئمة المسلمين.

وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقد كان يشرب الخمر، وصلى الصبح أربعًا، وجلده عثمان بن عفان على ذلك.

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف، وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد، وكان متهمًا بالإلحاد وداعي إلى الضلال». [مجموع الفتاوى: ٢٨١/٣].

وجوب الاهتمام بتعلم العلم النافع:

ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: الاهتمام بتعلم العلم النافع ومعرفة المسائل الشرعية، وأدلتها من الكتاب والسنة، وكذا الاهتمام بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه.

بوّب الإمام البخاري في «صحيحه»: «باب: العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد:١٩)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تفقهوا قبل أن تسودوا»، قال البخاري رحمه الله: « وبعد أن تسودوا، وقد تعلم الصحابة وهم كبار». [فتح الباري (١٩٢/١)]

وقالوا: إذا تصدر الحَدَث، فاته خير كثير.

وقيل لابن المبارك: «إلى متى العلم؟» فقال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أتعلمها بعدُ» وقال الإمام أحمد: «حاجة الناس إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، فالطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يُحتاج إليه بعدد الأنفاس».

وقال كذلك: «مع المحبرة إلى المقبرة».

وينبغي أن يعلم المسلم كذلك: أن العلم هو ما قام عليه الدليل، وهو علم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

كما قيل:

العلم قال الله قال رسولـــه
قال الصحابة، ليس بالتمويـــه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة
بين الرسول وبين قول فقيـــه

وقيل كذلك:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة
إلا الحديث وإلا الفقـــه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنـــا
وما سوى ذاك فوسواس الشياطين

محبة العلماء الربانيين:

ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: محبة العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين، واعتقاد فضلهم وحبهم في الله عز وجل، والاحتجاج بإجماعهم، واعتقاد أن اجتهادهم لنا خير من اجتهادنا لأنفسنا.

ولا بأس بدراسة مذهب من المذاهب المتبعة؛ بشرط عدم التعصب للمذهب، وأن يدور الطالب مع الحق حيث دار، واعتقاد أن الأئمة مأجورون على كل حال، إما أجرًا كاملاً أو أجرًا ناقصًا؛ لأنهم بذلوا جهدهم في تحصيل أدوات الاجتهاد، وكذا تحري الحق في المسألة، لكن الواجب على طلاب العلم أن يكون اتباعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الله تعالى لم يتعبدنا باتباع أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد - رحمة الله على الجميع -، ولكن تعبدنا باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمضطر إلى التقليد الأعمى اضطرارًا حقيقيًا بحيث يكون لا قدرة له ألبتة على غيره، مع عدم التفريط؛ لكونه لا قدرة له أصلاً على الفهم، وقد عاقته عوائق قاهرة عن التعلم، أو هي في أثناء التعلم تدريجيًا؛ لأنه لا يقدر على تعلم كل يحتاجه في وقت واحد، أو لم يجد كفئًا يتعلم منه، ونحو ذلك؛ فهو معذور في التقليد المذكور للضرورة؛ لأنه لا مندوحة له عنه.

أما القادر على التعلم المُفرط فيه، والمقدم آراء الرجال على ما علم من الوحي فليس بمعذور.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

طريق الجنة في اتباع السنة

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » [الأنفال: ٢٤].

من دلائل النبوة

إخباره صلى الله عليه وسلم عن قتلى بدر

عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يرينا مصارع أهل بدر، بالأمس، يقول: «هذا مصرع فلان غدًا، إن شاء الله»، قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التي حدَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم».

[صحيح مسلم].

من فضائل الصحابة

عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم دخل الخلاء فوضعت له وضوءًا. قال: «من وضع هذا؟». فأُخْبِرَ، فقال: «اللهمَّ فقِّهه في الدِّين»

[صحيح البخاري].

صُوَر الغربة!!

قال ابن رجب الحنبلي: «غُربة أهل الصلاح بين الفسَّاق، وغربة الصادقين بين أهل الرياء والنفاق، وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق، وغربة أهل الآخرة بين علماء الدنيا الذين سُلبوا الخشية والإشفاق» [وصف حال أهل الغربة].

موقف السلف من تولِّي القضاء

عن ابن سيرين قال: كنا عند أبي عبيدة فجاءه رجل فجلس معه على فراشه، فسارَّه بشيء لا ندري ما هو، فقال له أبو عبيدة: ضع لي إصبعك في هذه النار. فقال له الرجل: سبحان الله! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار! فقال له أبو عبيدة: أتبخل عليَّ بأصبع من أصابعك في نار الدنيا، وتسألني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم؟! قال: فظننا أنه دعاه إلى القضاء.

[عيون الأخبار].

من غريب الحديث

(البيضة) كما فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم «لا تسلط عليهم عدوًّا من غيرهم فيستبيح بيضتهم» أي مجتمعهم وموضع سلطانهم، ومستقر دعوتهم. وبيضة الدار: وسطها ومعظمها، أراد عدوًّا يستأصلهم ويُهلكهم جميعهم. [النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير].

اعداد:
علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

سبيل الوصول إلى الراحة النفسية

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله» [صحيح البخاري].

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

« إن في الجنة نهرًا يُقال له: رجب، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، من صام من رجب يومًا واحدًا، سقاه الله من ذلك النهر »، الحديث ضعيف، ولم يصح في شهر رجب شيء من الأحاديث يعول عليها، غير أنه من الأشهر الحرم.

من جوامع الدعاء

عن فروة بن نوفل الأشجعي، قال: سألت عائشة عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به الله، قالت: كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر ما لم أعمل» [صحيح مسلم].

من أقوال السلف

عن عمرو بن مرة قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنها ستكون أمور مشتبهة، فعليكم بالتؤدة؛ فإن الرجل يكون تابعًا في الخير خير من أن يكون رأسًا في الضلالة» [الإبانة لابن بطة].

من درر العلماء

قال ابن تيمية: «فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يُحب إلا لله، ولا يُبْغض إلا لله، ولا يُوَالي إلا لله، ولا يُعَادي إلا لله، وأن يحب ما يحبه الله ويبغض ما أبغضه، ويأمر بما أمر الله به، وينهى عما نهى الله عنه، وأنك لا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا الله، ولا تسأل إلا الله، وهذا ملة إبراهيم، وهذا الإسلام الذي بعث الله به جميع المرسلين». [مجموع الفتاوى].

حكم ومواعظ

عن الحسن البصري قال: «إنما الدنيا ثلاثة أيام، مضى أمس بما فيه، وغدًا لعلك لا تُدركه، فانظر ما أنت عامل في يومك » [الزهد لابن أبي الدنيا].



أثر السياق في فهم النص

اعتبار المآلات

الحلقة (٤٩)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: في الحلقة السابقة تكلمنا عن أهمية اعتبار المآلات، وأنها من شروط الاجتهاد والفتوى، وذكرنا بعض أدلتها من الكتاب والسنة، ونستأنف البحث بإذن الله تعالى، حول عناصر هذه المسألة.

ليس كل ما يُعلم يُقال:

«ليس كل ما يعلم مما هو حق يُطلب نشره، وإن كان من علم الشريعة ومما يفيد علمًا بالأحكام، بل ذلك ينقسم، فمنه ما هو مطلوب النشر، وهو غالب علم الشريعة، ومنه ما لا يُطلب نشره بإطلاق، أو لا يُطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص...

ومن ذلك علم المتشابهات والكلام فيها، فإن الله ذم من اتبعها، فإذا ذكرت وعرضت للكلام فيها، فربما أدى ذلك إلى ما هو مستغنًى عنه. [الموافقات ٥/١٦٧- ١٦٨].

بل إن علماء السلف قرروا أنه قد يسوغ للإنسان ترك الأفضل إن كان ذلك لمصلحة شرعية، قال شيخ الإسلام: «ويسوغ أيضًا أن يترك الإنسان الأفضل لتأليف القلوب، واجتماع الكلمة؛ خوفًا من التنفير». [الفتاوى الكبرى ٢/١٨١].

وتكلم ابن القيم في عدم جواز أن يكتم المفتي المجتهد علمًا، إلا أنه قيّد ذلك بالنظر إلى المآل، فقال: «فإن لم يأمن غائلتها (أي الفتوى)، وخاف من ترتب شر أكثر من الإمساك عنها، أمسك عنها ترجيحًا لدفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما». [إعلام الموقعين ٤/١٢٠].

والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

١- ما أخرجه البخاري في «كتاب العلم»: باب: من خصّ قومًا دون قوم؛ كراهية أن لا يفهموا (موقوفًا على عليّ رضي الله عنه)، قال: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتُحبُّون أن يُكذَّب اللهُ ورسولُه. وذكره ابن عبد البر عن ابن عباس- رضي الله عنهما-، بلفظ: أتريدون بدلًا من أتحبون. وأورده بألفاظ متقاربة عن ابن مسعود، وعروة وأبي قلابة، رضي الله عنهم. [انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/٥٣٩- ٥٤١].

وأخرج مسلم في مقدمة الصحيح بسنده عن ابن مسعود: ما أنت بمُحَدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة. [مقدمة

صحيح مسلم ١/١١].
وقال الحافظ ابن حجر معلقًا على أثر عليٍّ رضي الله عنه: وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يُذْكَر عند العامة، ثم قال: وممن كره التحديث ببعض دون بعض، أحمدُ في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة رضي الله عنه. [فتح الباري ١/٢٢٥].

٢- وما أخرجه البخاري (في نفس الباب) بسنده عن أنس بن مالك: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ! قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ! قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا، وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا. [صحيح البخاري].

[قلت: والحديث ليس فيه ما يؤيد ما ذهب إليه المرجئة، فإن ما عليه عمل علماء السلف هو ضم النصوص إلى بعضها البعض، فإن ذلك يؤدي إلى ضبط المعنى وسلامة الفهم].

قال ابن الجوزي: في هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي تُفهَم على غير معناها: فيقال: فأين دخول العصاة النار؟

فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون هذا قبل نزول الفرائض. والثاني: أنه خرج مخرج الغالب، والغالب على الموحِّد أن يعمل بما شهد به، فلا يدخل النار؛ لتصديق قوله بفعله. والثالث: أن يكون المعنى: حرَّمه الله على النار أن يُخَلَّد فيها. [كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٢/٥٧].

ونقل الإمام النووي أوجهًا في توجيه الحديث، ثم ذكر عن معاذ رضي الله عنه أن يكون حمل نهي النبي صلى الله عليه وسلم على إذاعته، قال: «وهذا الوجه ظاهر، وقد اختاره الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله، فقال: منعه من التبشير العام خوفًا من أن يسمع ذلك من لا خبرة له ولا علم فيغتر ويتكل، وأخبر به صلى الله عليه وسلم على الخصوص من أمن عليه الاغترار والاتكال من أهل المعرفة، فإنه أخبر به معاذًا، فسلك معاذ هذا المسلك فأخبر به الخاصة من رآه أهلاً لذلك».

[شرح النووي على مسلم ١/٢٤٠- ٢٤١].

وما ذكره الإمام النووي، هو ما ذهب إليه السيوطي أيضًا في شرحه على مسلم. [انظر الديباج على شرح صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي ١/٤٨].

وقال الحافظ ابن حجر: ودل صنيع معاذ رضي الله عنه على أنه عرف أن النهي عن التبشير كان على التنزيه لا على التحريم، وإلا لما كان يخبر به أصلاً، أو عرف أن النهي مقيَّد بالاتكال، فأخبر به من لا يخشى عليه ذلك، وإذا زال القيد زال المقيَّد، والأول أوجه؛ لكونه أخَّر ذلك إلى وقت موته..». [فتح الباري ١/٢٢٧].

وذكر «القاري» مطابقة الحديث لترجمة البخاري، فقال: مطابقة الحديث للترجمة من حيث المعنى، وهو أنه صلى الله عليه وسلم خصَّ معاذًا بهذه البشارة العظيمة دون قوم آخرين؛ مخافة أن يقصِّروا في العمل متكلين على هذه البشارة، فإن قلت ترجم الباب لتخصيص قوم، وما في الحديث دلَّ على تخصيص شخص واحد، وهو معاذ، قلت: المقصود جواز التخصيص إمَّا بشخص وإما بأكثر...». [عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢/٢٠٥].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ. [صحيح البخاري].

ذكر ابن بطال عن المهلب، وأبي الزناد (عن الوعاء الذي لم يبثه أبو هريرة رضي الله عنه): يعني أنها كانت أحاديث أشراط الساعة، وما عرف به صلى الله عليه وسلم من فساد الدين، وتغيير الأحوال، والتضييع لحقوق الله تعالى، كقوله صلى الله عليه وسلم: يكون فساد هذا الدين على أيدي أغيلمة سفهاء من قريش، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: لو شئت أن أسميهم بأسمائهم، فخشي على نفسه، فلم يُصرِّح.

وكذلك ينبغي لكل من أمر بمعروف إذا خاف على نفسه من التصريح أن يعرِّض ولو كانت الأحاديث التي لم يحدِّث بها من الحلال والحرام ما وسعه تركها. [شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/١٩٥].

وما كتمه أبو هريرة رضي الله عنه - من مراعاة المآلات والنظر إلى العواقب وقياس المصالح والمفاسد، وليس هذا من باب كتمان

العلم المنهي عنه.
وقد ذكر ابن الجوزي الإشكال المثار حول الحديث، وأجاب عنه، فقال: ولقائل أن يقول: كيف استجاز كتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال: «بلغوا عني».
فالجواب: أن هذا الذي كتمه ليس من أمر الشريعة، فإنه لا يجوز كتمانها، وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم، وهي قوله: « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ » [البقرة: ١٥٩]. فكيف يُظنّ به أن يكتم شيئًا من الشريعة بعد هذه الآية، وبعد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبلّغ عنه، وقد كان يقول لهم: «ليبلّغ الشاهد منكم الغائب»، وإنما هذا المكتوم مثل أن يقول: فلان منافق، وستقتلون عثمان رضي الله عنه ، فلو صرّح بأسمائهم لكذبوه وقتلوه. [كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٣/٥٣٤، ٥٣٥].
ولا شك أن ما لم يبلّغه أبو هريرة رضي الله عنه لم يكن بالكثير، قال الحافظ ابن حجر: ووقع في المسند عنه: حفظت ثلاثة أجربة، بثثت منها جرابين، وليس هذا مخالفًا لحديث الباب، لأنه يحمل على أن أحد الوعاءين كان أكبر من الآخر، بحيث يجيء ما في الكبير في جرابين، وما في الصغير في واحد، ثم قال الحافظ: وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح به خوفًا على نفسه منهم، كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين، وإمارة الصبيان، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة. [فتح الباري ١/٢١٦].
وقال الإمام الذهبي: كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: رُبَّ كيس عند أبي هريرة لم يفتحه- يعني: من العلم.
قلت (الذهبي): هذا دالٌ على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرّك فتنة في الأصول أو الفروع، أو المدح والذم، أما حديث يتعلق بحلال أو حرام فلا يحل كتمانه بوجه، فإنه من البينات والهدى. [سير أعلام النبلاء ٢/٥٩٧].
ثم قال: وكذا لو بثّ أبو هريرة- رضي الله عنه- ذلك الوعاء لأوذي، بل لقتل، ولكنّ العالم قد يؤديه اجتهاده إلى أن ينشر الحديث الفلاني إحياءً للسنة، فله ما نوى، وله أجر، وإن غلط في اجتهاده. [السابق ٢/٥٩٨].
٤- ما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أقرئى رجالاً من المهاجرين، منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب، في آخر حجة حجّها، إذ رجع إليَّ عبد الرحمن، فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان؟ يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلاّ فلتة فتمت، فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشيَّة في الناس، فمحذّرهم، هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم.
قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيّرها عنك كل مُطيّر، وأن لا يعوها، وألا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسُّنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت ممكنًا، فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على مواضعها، فقال عمر: أما والله- إن شاء الله- لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة... الحديث (صحيح البخاري).
والحديث طويل وفيه فوائد متعددة، نجتزئ منها: أهمية الشورى بين الصحابة، وأخذ عمر رضي الله عنه بمشورة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وفيه اعتبار المآلات، وأن ما يصلح لخواص الناس، لا يصلح لعوامهم، بل قد يؤدي إلى الفتنة وما لا يحمد عقباه.
وعمر رضي الله عنه، كان يعي ذلك جيدًا، لذا استجاب سريعًا لرأي عبد الرحمن بن عوف دون مراجعة، ومما يؤيد ذلك أن عمر رضي الله عنه، قال في سياق الحديث لما عاد إلى المدينة وخطب أول جمعة بعد عودته من الحج، قال: أما بعدُ، فإني قائل لكم مقالة قد قُدّر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي ألا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليَّ.
أما قول القائل- وهو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه- ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة، فمعناها أنها حدثت فجأة من غير ترتيب مسبق؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا

مشغولين بأحزانهم على وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ما سعيا في مسألة الخلافة إلا خوفًا من الفتنة ومن اختلاف المهاجرين والأنصار بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فأسرعا إلى سقيفة بني ساعدة، وكان من أمر الله تعالى أن وُئدت الفتنة في مهدها.

قال أبو عبيد: معنى الفلتة: الفجأة، وإنما كانت كذلك، لأنها لم يُنْتَظر بها العوام، وإنما ابتدرها أكابر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من المهاجرين وعامة الأنصار .. ثم إن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن يُحتاج في أمره إلى نظر ولا مشاورة، فهو خير الصحابة قاطبة بإجماع صحابة النبي صلى الله عليه وسلم. [انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨/٤٦٠].

٥- أخرج أبو داود بسنده عن عمرو بن أبي مُرَّة، قال: كان حذيفة بالمدائن، فكان يذكر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأناس من أصحابه في الغضب فينطلق ناس ممن سمع ذلك من حذيفة، فيأتون سلمان فيذكرون له قول حذيفة، فيقول سلمان: حذيفة أعلم بما يقول. فيرجعون إلى حذيفة فيقولون له: قد ذكرنا قولك لسلمان، فما صدَّقك ولا كذَّبك، فأتى حذيفة سلمان وهو في مبقله (وهو موضع البقل، وهو من النبات ما ليس بشجر)، فقال: يا سلمان! ما يمنعك أن تصدِّقني بما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضب فيقول في الغضب لناس من أصحابه، ويرضى فيقول في الرضا لناس من أصحابه، أما تنتهي حتى تورث رجالاً حب رجال، ورجالاً بغض رجال، وحتى تُوقع اختلافًا وفرقةً؟ ولقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب، فقال: أيما رجل من أمتي سببته أو لعنته في غضبي، فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة، فوالله لتنتهينَّ أو لأكتبن إلى عمر رضي الله عنه. [صحيح سنن أبي داود].

والمعنى إنما وقع من سبّه ودعائه صلى الله عليه وسلم علي بعض أصحابه، ليس بمقصود، بل هو مما جرت به العادة (وذلك كان من كلام العرب: ك(ثكلتك أمك)، و(تربت يداك)، فخاف صلى الله عليه وسلم أن يصادف شيء من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورًا وأجرًا.

وإنما كان يقع هذا منه صلى الله عليه وسلم نادرًا، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشًا ولا لعانًا، والله أعلم.

والحاصل أن سلمان رضي الله عنه ما رضي بإظهار ما صَدَر في شأن الصحابة؛ لأنه ربما يخل بالتعظيم الواجب في شأنهم بما لهم من الصحبة. [عون المعبود ١٢/٢٧١].

ومن هذا الباب: أنه لا يُذكر للمبتدئ من العلم ما هو حظ المنتهي، بل يربَّى بصغار العلم قبل كباره، وقد فرض العلماء مسائل مما لا يجوز الفتيا بها وإن كانت صحيحة في نظر الفقيه، ومن ذلك سؤال العوام عن علل مسائل الفقه وحِكَم التشريعات، وإن كان لها علل صحيحة وحِكَم مستقيمة، ولذلك أنكرت عائشة رضي الله عنها على من قالت: لِمَ تقضي الحائض الصوم ولا تقضي الصلاة؟ وقالت: لها: أحرورية أنت؟ [متفق عليه].

وقد ضرب عمر رضي الله عنه صبيغًا وشرَّد به لما كان كثير السؤال عن أشياء من علوم القرآن لا يتعلق بها عمل، وربما أوقع ضلالاً وفتنة وإن كان صحيحًا، والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، والدارمي في السنن وغيرهما بسند صحيح.

وتلا عمر قوله تعالى: «وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا» [عبس: ٣١]، فقال: هذه الفاكهة، فما الأبُّ؟ ثم قال: ما أُمرنا بهذا، إلى غير ذلك، مما يدل على أنه ليس كل علم يبث وينشر وإن كان حقًا، وقد أخبر مالك عن نفسه أن عنده أحاديث وعلمًا ما تكلم فيها ولا حُدث بها.وكان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل، وأخبر عمن تقدمه أنهم كانوا يكرهون ذلك.

وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها، فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة، فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية. [الموافقات للشاطبي ٥/١٧١، ١٧٢ بتصرف يسير].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

الغنيُّ الشاك



الحمدُ لله الذي خَلَقَ السموات والأرض، ولم يكن له شريك في الملك، وخَلَقَ كُلَّ شيء فقدره تقديراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن عبد الرحمن بن عوف هو أحد العشرة الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وهو أحد أصحاب نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز قائلاً: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال:٧٤)، وأحد أغنياء الصحابة الزاهدين في الدنيا، من أجل ذلك أحببت أن أُذكِّرَ نفسي وإخوا ني الكرام بشيء من سيرته العطرة، وتاريخه المشرق المجيد؛ لعلنا نسير على ضوئه فنسعد في الدنيا والآخرة.

فأقول وبالله التوفيق:

اسمه ونسبه:

عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زُهْرة بن كلاب. وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم عبد الرحمن. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص٩٢).

عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَتِي (أهلي ومالي) بِمَكَّةَ وَأَحْفَظَهُ فِي صَاغِيَتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ قَالَ: لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ كَاتِبْنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَاتَبْتُهُ عَبْدَ عَمْرٍو. (البخاري حديث:٢٣٠١).

وكُنيته: أبو محمد.

أمه: الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة بن كلاب، أَسْلَمَتْ وهاجرت إلى المدينة. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص٩٢).

ميلاده:

وُلِدَ عبد الرحمن بن عوف بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص٩٢).

صفات عبد الرحمن بن عوف الخَلْقية:

كان عبد الرحمن بن عوف أبيض مُشْرَباً بحُمْرَة، حَسَنَ الوجه، رقيق البشرة، أعين (واسع العينين) أهدب الأشفار (طويل شعر الأجفان) أقنى (طويل الأنف، دقيق الأرنبة، مع حدب في وسط الأنف) له جُمة (شعر الرأس الذي يسقط على المنكبين) ضخم الكفين، غليظ الأصابع لا يغير لحيته ولا رأسه. (أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص٣٨٠).

أزواج عبد الرحمن بن عوف وأولاده:

رزق اللهُ عبد الرحمن بن عوف بعَدد كبير من الأولاد: من الذكور: عشرون، ومن الإناث: ثماني بنات. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص٩٤:٩٥).

إسلام عبد الرحمن بن عوف:

أَسْلَمَ عبد الرحمن بن عوف، على يد أبي بكر الصديق، وكان أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص٩٢).

هجرة عبد الرحمن بن عوف:

هاجر عبد الرحمن بن عوف إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً، ثم هاجر إلى المدينة، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص٩٢).

عَنْ إبراهيمَ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالاً فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ

ـــــر: عبد الرحمن بن عوف

الْغُدُوُّ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجْتَ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: وَمَنْ؟ قَالَ: امْرَأَةً مِنْ الأَنْصَارِ. قَالَ: كَمْ سُقْتَ؟ قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ. (البخاري حديث:٢٠٤٨)

علم عبد الرحمن بن عوف:

روى عبد الرحمن بن عوف خمسةً وستينَ حديثا. له في « الصحيحين « حديثان. وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث.

روى عنه من الصحابة ابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وجُبير بن مُطعم، وجابر بن عبد الله، والمسور بن مخرمة، وعبد الله بن عامر بن ربيعة. وروى عنه أيضاً عدد من التابعين. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج١ ص٦٨، ٦٩).

(١) عن مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ كُنْتُ كَاتِبًا لِجَزْءِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَمِّ الأَحْنَفِ، فَأَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ فَرِّقُوا بَيْنَ كُلِّ ذِي مَحْرَمٍ مِنْ الْمَجُوسِ، وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ أَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْ الْمَجُوسِ حَتَّى شَهِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ. (البخاري حديث:٣١٥٦:٣١٥٧).

(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا غُلَامُ هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذَا شَكَّ الرَّجُلُ فِي صَلَاتِهِ مَاذَا يَصْنَعُ؟ قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَقَالَ فِيمَ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ عُمَرُ: سَأَلْتُ هَذَا الْغُلَامَ هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذَا شَكَّ الرَّجُلُ فِي صَلَاتِهِ مَاذَا يَصْنَعُ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ أَوَاحِدَةً صَلَّى أَمْ ثِنْتَيْنِ فَلْيَجْعَلْهَا وَاحِدَةً، وَإِذَا لَمْ يَدْرِ ثِنْتَيْنِ صَلَّى أَمْ ثَلَاثًا فَلْيَجْعَلْهَا ثِنْتَيْنِ، وَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَثَلَاثًا صَلَّى أَمْ أَرْبَعًا فَلْيَجْعَلْهَا ثَلَاثًا ثُمَّ يَسْجُدْ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ سَجْدَتَيْنِ. (حديث حسن لغيره) (مسند أحمد ج٣ص١٩٤حديث١٦٥٦).

إعداد/ صلاح نجيب الدق

جهاد عبد الرحمن بن عوف:

(١) شهد عبد الرحمن بن عوف بدراً وأُحُداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبت يومَ أُحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين فَرَّ الناسُ وأصيب يوم أحد فهتم (انكسرت ثناياه من أصلها) وجرح عشرين جراحة أو أكثر أصابه بعضها في رجله فعرج. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص٩٥)(صفة الصفوة لابن الجوزي ج١ص٣٥٠).

(٢) عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمر قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف في سبعمائة إلى دُومة الجندل (اسم مكان)، وذلك في شعبان سنة ست من الهجرة فنَقض عمامته بيده ثم عَمَّمَه بعمامة سوداء فأرخى بين كتفيه منها فقدمَ دُومة الجندل، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا (رفضوا) ثلاثاً ثم أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً، وكان رأسهم فبعث عبد الرحمن فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكتب إليه أن تزوج تماضر بنت الأصبغ فتزوجها عبد الرحمن وبنى بها وأقبل بها وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ص٩٦).

النبي صلى الله عليه وسلم يصلي خلف عبد الرحمن بن عوف:

عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَخَلَّفْتُ مَعَهُ فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ قَالَ أَمَعَكَ مَاءٌ؟ فَأَتَيْتُهُ بِمِطْهَرَةٍ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ ذَهَبَ يَحْسِرُ عَنْ ذِرَاعَيْهِ فَضَاقَ كُمُّ الْجُبَّةِ فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ الْجُبَّةِ وَأَلْقَى الْجُبَّةَ عَلَى مَنْكِبَيْهِ وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ وَمَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ وَعَلَى الْعِمَامَةِ وَعَلَى خُفَّيْهِ، ثُمَّ رَكِبَ وَرَكِبْتُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَوْمِ وَقَدْ قَامُوا فِي الصَّلَاةِ يُصَلِّي بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَقَدْ رَكَعَ بِهِمْ رَكْعَةً فَلَمَّا أَحَسَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ذَهَبَ يَتَأَخَّرُ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ فَصَلَّى بِهِمْ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُمْتُ فَرَكَعْنَا الرَّكْعَةَ الَّتِي سَبَقَتْنَا. (مسلم - كتاب الطهارة حديث:٨١)

غضب النبي صلى الله عليه وسلم من أجل عبد الرحمن بن عوف:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ فَسَبَّهُ خَالِدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ. (مسلم حديث:٢٥٤١)

هذا الخلاف إنما كان بينهما لما سَيَّرَ رسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بعد فتح مكة فقتل فيهم خالد خطأ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم دية القتلى وأعطاهم ثَمَنَ ما أُخِذَ منهم. وكان بنو جذيمة قد قتلوا في الجاهلية « عوف بن عبد عوف» والد عبد الرحمن بن عوف وقتلوا الفاكه بن المغيرة عَمَّ خالد بن الوليد، فقال له عبد الرحمن: إنما قتلتهم لأنهم قتلوا عمك. وقال: خالد: إنما قتلوا أباك، وأغلظ في القول فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال. (أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ص٣٧٨:٣٧٩)

عبد الرحمن بن عوف أحد أصحاب الشورى:

عبد الرحمن بن عوف هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم، وهو أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم اختيارُ الخليفة منهم، وهو الذي اجتهد في تقديم عثمان بن عفان رضي الله عنه للخلافة. (البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ص١٧٠).

قال الذهبي: من أفضل أعمال عبد الرحمن بن عوف عَزْله نفسه من الأمر (الخلافة) وقت الشورى، واختياره للأمة مَن أشار به أهل الحَل والعَقْد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جَمْع الأمة على عثمان، ولو كان محابياً فيها، لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ص٨٦).

عبد الرحمن بن عوف رجل من أهل الجنة:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ (ابن أبي وقاص) فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ (ابن زيد) فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ. (صحيح سنن الترمذي للألباني حديث ٢٩٤٦).

رعاية عبد الرحمن بن عوف لأزواج نبينا صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أُمِّ بَكْرٍ بِنْتِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ بَاعَ أَرْضًا لَهُ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَسَمَهُ فِي فُقَرَاءِ بَنِي زُهْرَةَ وَفِي ذِي الْحَاجَةِ مِنَ النَّاسِ، وَفِي أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ الْمِسْوَرُ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ بِنَصِيبِهَا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: مَنْ أَرْسَلَ بِهَذَا؟ قُلْتُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ. فَقَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لاَ يَحِنُّ عَلَيْكُمْ بَعْدِي إِلاَّ الصَّابِرُونَ، سَقَى اللَّهُ ابْنَ عَوْفٍ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ. (مسند أحمد ج ٤١ ص٤٨٤ حديث ٢٣٨٨٣، وهو حديث حسن).

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أَوْصَى بِحَدِيقَةٍ لأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِيعَتْ بِأَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفٍ. (صحيح سنن الترمذي للألباني حديث ٢٩٤٩).

عبد الرحمن بن عوف أميراً على الحج:

قال ابنُ سعد: لما اُسْتُخْلِفَ عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس وحج مع عمر أيضًا آخر حجة حجها عمر سنة ثلاث وعشرين، وأذن عمر تلك السنة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في الحج فَحُمِلْنَ في الهوادج وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، فكان عثمان يسير على راحلته أمامهن فلا يدع أحداً يدنو منهن، وكان عبد الرحمن بن عوف يسير من ورائهن على راحلته فلا يدع أحداً يدنو منهن، وينزلن مع عمر كل منزل، فكان عثمان وعبد الرحمن ينزلان بهن في الشعاب فيُقْبِلانهن (يوصلانهن) الشعاب وينزلان هما في أول الشعب فلا يتركان أحداً يمر عليهن، فلما اُستخلف عثمان بن عفان سنة أربع وعشرين بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص٩٩)

خوف عبد الرحمن بن عوف من الله:

(١) عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاَهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ أَوْ قَالَ أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ. (البخاري حديث:١٢٧٥).

(٢) عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عَلَى

أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَخْشَى أَنْ أَكُونَ قَدْ هَلَكْتُ إِنِّي مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالاً بِعْتُ أَرْضًا لِي بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. فَقَالَتْ: أَنْفِقْ يَا بُنَيَّ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ لاَ يَرَانِي بَعْدَ أَنْ أُفَارِقَهُ فَأَتَيْتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَتَاهَا فَقَالَ: بِاللَّهِ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ، وَلَنْ أُبَرِّئَ أَحَدًا بَعْدَكَ. (حديث صحيح، مسند أحمد ج ٤٤ ص٢٩٠ حديث ٢٦٦٩٤).

(٣) قال نوفل بن إياس الهذلي: كان عبد الرحمن بن عوف لنا جليسًا وكان نعم الجليس، وأنه انقلب بنا ذات يوم حتى إذا دخلنا بيته ودخل، فاغتسل ثم خرج فجلس معنا وأتانا بجفنة (وعاء) فيها خبز ولحم، فلما وُضعت بكى عبد الرحمن فقلت يا أبا محمد ما يبكيك؟ فقال: فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ولم يشبع هو ولا أهل بيته من خبز الشعير. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج١ص٩٩:١٠٠).

إنفاق عبد الرحمن بن عوف في سبيل الله:

كان عبد الرحمن بن عوف من أغنياء المسلمين، الذين يشكرون الله تعالى على نعمه الكثيرة، وذلك ببذل الكثير من ماله في سبيل الله تعالى، ومن ذلك:

(١) عن الزُّهري قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألف ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج ١ص٩٩). [الدينار: يُعادل أربع جرامات وربع من الذهب الخالص].

(٢) عن قتادة قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله، وكان ماله ثمانية آلاف دينار، فتصدق بأربعة آلاف دينار، فقال ناس من المنافقين: إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء! فقال الله: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) (التوبة:٧٩)(تفسير الطبري ج ١٤ص٣٨٥).

(٣) قال جعفر بن بُرقان: بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج ١ص٩٩).

أقوال سلفنا الصالح في عبد الرحمن بن عبد:

(١) قال إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: كنا نسير مع عثمان بن عفان في طريق مكة، إذ رأى عبد الرحمن بن عوف، فقال عثمان: ما يستطيع أحدٌ أن يتعدَّ على هذا الشيخ فضلاً في الهجرتين جميعًا. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ص٧٥).

(٢) قال إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف سمعت علياً بن أبي طالب يقول . يوم مات عبد الرحمن بن عوف :. اذهب يا ابن عوف، فقد أدركت صفوها، وسبقت رَنْقَهَا (كدرها).(حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج١ص١٠٠).

(٣) قال سعيد بن المسيب قال: كان بين طلحة بن عبيد الله، وابن عوف تباعد، (خلاف بينهما) فمرض طلحة، فجاء عبد الرحمن يعوده، فقال طلحة: أنت والله يا أخي خيرٌ مني. قال: لا تقل يا أخي، قال: بلى والله، لأنك لو مرضت ما عُدتك. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ص٨٨).

(٤) قال سعد بن الحسن: كان عبد الرحمن بن عوف لا يُعرف من بين عبيده. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ص٨٩).

وصية عبد الرحمن بن عوف وميراثه:

قال عُروة بن الزبير: أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله. (أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ص٣٧٩).

وقال الزهري: أوصى عبد الرحمن لمن بقي ممن شهد بدراً لكل رجل أربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها وأخذها عثمان بن عفان فيمن أخذ: وأوصى بألف فرس في سبيل الله. (أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ص٣٧٩).

وقال عثمان بن الشريد: ترك عبد الرحمن بن عوف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة بالبقيع، ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجرف(اسم مكان) على عشرين ناضحاً (بعيراً) وكان يُدخل قوت أهله من ذلك سنة. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٠١).

تُوفي عبد الرحمن بن عوف وكان فيما تَرَكَ ذَهَبٌ قُطِعَ بالفؤوس حتى مَجَلت أيدي الرجال (ظهرت فيها الجروح) منه، وترك أربع نسوة فأخرجت امرأة من ثُمُنها بثمانين ألفًا. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص١٠١).

وفاة عبد الرحمن بن عوف:

تُوفيَّ عبد الرحمن بن عوف سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، ودفن بالبقيع، وعاش خمساً وسبعين سنة. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ص٨٩).

رَحِمَ اللهُ عبد الرحمن بن عوف رحمةً واسعةً، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.

ونسأل الله تعالى أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة، بحبنا له، وإن لم نعمل بمثل عمله.

وصلى اللهُ وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعينَ لهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

باب الفقه

الحلقة الخامسة

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

حكم البسملة في الصلاة

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

فما يزال الحديث متصلاً عن صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، ونتناول في هذا العدد حكم البسملة في الصلاة وأحوالها، وما يتعلق بها من الجهر والإسرار، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

التَّعْرِيفُ: الْبَسْمَلَةُ فِي اللُّغَةِ وَالاصْطِلاحِ:

قَوْل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يُقَال: بَسْمَل بَسْمَلَةً: إِذَا قَال أَوْ كَتَبَ: بِسْمِ اللَّهِ [لسان العرب، المصباح المنير مادة بسمل].

قَال الطَّبَرِيُّ: إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - أَدَّبَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَعْلِيمِهِ ذِكْرَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى أَمَامَ جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، وَجَعَل ذَلِكَ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ سُنَّةً يَسْتَنُّونَ بِهَا، وَسَبِيلاً يَتَّبِعُونَهُ عَلَيْهَا، فَقَوْل الْقَائِل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِذَا افْتَتَحَ تَالِيًا سُورَةً، يُنْبِئُ عَنْ أَنَّ مُرَادَهُ أَقْرَأُ بِاسْمِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الأَفْعَال. (تفسير الطبري ١ / ١١٤).

وقد اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْبَسْمَلَةَ جُزْءٌ مِنْ آيَةٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: « إِنَّهُ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ » (النمل: ٣٠) وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّهَا آيَةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ، وَمِنْ كُل سُورَةٍ. وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ، وَالأَصَحُّ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ، وَمَا قَال بِهِ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ هُوَ أَنَّ الْبَسْمَلَةَ لَيْسَتْ آيَةً مِنَ الْفَاتِحَةِ وَمِنْ كُل سُورَةٍ، وَأَنَّهَا آيَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ، أُنْزِلَتْ لِلْفَصْل بَيْنَ السُّوَرِ، وَذُكِرَتْ فِي أَوَّل الْفَاتِحَةِ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٨/٨٨).

حكم الْبَسْمَلَةِ فِي الصَّلاةِ:

اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي حُكْمِ قِرَاءَةِ الْبَسْمَلَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ وَالْمُنْفَرِدِ،



فِي رَكَعَاتِ الصَّلاَةِ؛ لاخْتِلاَفِهِمْ فِي أَنَّهَا آيَةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ وَمِنْ كُلِّ سُورَةٍ. وَحَاصِل مَذْهَبِ الْحَنَفِيَّةِ فِي ذَلِكَ: أَنَّهُ يُسَنُّ قِرَاءَةُ الْبَسْمَلَةِ سِرًّا لِلإْمَامِ وَالْمُنْفَرِدِ فِي أَوَّل الْفَاتِحَةِ مِنْ كُل رَكْعَةٍ، وَلاَ يُسَنُّ قِرَاءَتُهَا بَيْنَ الْفَاتِحَةِ وَالسُّورَةِ مُطْلَقًا عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَبِي يُوسُفَ؛ لأِنَّ الْبَسْمَلَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْفَاتِحَةِ، وَفِي قَوْلٍ آخَرَ فِي الْمَذْهَبِ: تَجِبُ بِدَايَةُ الْقِرَاءَةِ بِالْبَسْمَلَةِ فِي الصَّلاَةِ؛ لأِنَّهَا آيَةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ. وَحُكْمُ الْمُقْتَدِي عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ أَنَّهُ لاَ يَقْرَأُ لِحَمْل إِمَامِهِ عَنْهُ. وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ: أَنَّ الْبَسْمَلَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْفَاتِحَةِ، فَلاَ تُقْرَأُ فِي الْمَكْتُوبَةِ سِرًّا أَوْ جَهْرًا مِنَ الإْمَامِ أَوِ الْمَأْمُومِ أَوِ الْمُنْفَرِدِ؛ وَفِي قَوْلٍ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ: يَجِبُ، وَهُنَاكَ قَوْلٌ بِالْجَوَازِ. قَال الْقَرَافِيُّ: الْوَرَعُ الْبَسْمَلَةُ أَوَّل الْفَاتِحَةِ.

وَالأْظْهَرُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الإْمَامِ وَالْمَأْمُومِ وَالْمُنْفَرِدِ قِرَاءَةُ الْبَسْمَلَةِ فِي كُل رَكْعَةٍ مِنْ رَكَعَاتِ الصَّلاَةِ فِي قِيَامِهَا قَبْل فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، سَوَاءٌ أَكَانَتِ الصَّلاَةُ فَرْضًا أَمْ نَفْلاً، سِرِّيَّةً أَوْ جَهْرِيَّةً؛ لِحَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ سَبْعُ آيَاتٍ، إِحْدَاهُنَّ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وَعَلَى الأْصَحِّ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ: لاَ يَجِبُ قِرَاءَةُ الْبَسْمَلَةِ مَعَ الْفَاتِحَةِ وَمَعَ كُل سُورَةٍ فِي رَكَعَاتِ الصَّلاَةِ؛ لأِنَّهَا لَيْسَتْ آيَةً مِنَ الْفَاتِحَةِ وَمِنْ كُل سُورَةٍ؛ لِحَدِيثِ (قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ...)، وَلأِنَّ الصَّحَابَةَ أَثْبَتُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ بِخَطِّهِمْ، وَلَمْ يُثْبِتُوا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ سِوَى الْقُرْآنِ.

وَعَلَى الأْصَحِّ: يُسَنُّ قِرَاءَةُ الْبَسْمَلَةِ مَعَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأْولَيَيْنِ مِنْ كُل صَلاَةٍ، وَيُسْتَفْتَحُ بِهَا السُّورَةُ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ، وَيُسَرُّ بِهَا؛ لِمَا وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُسِرُّ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي الصَّلاَةِ. وَعَلَى الرِّوَايَةِ الأْخْرَى عَنْ أَحْمَدَ فِي قُرْآنِيَّةِ الْبَسْمَلَةِ يَجِبُ عَلَى الإْمَامِ وَالْمُنْفَرِدِ وَالْمَأْمُومِ قِرَاءَةُ الْبَسْمَلَةِ مَعَ الْفَاتِحَةِ فِي الصَّلاَةِ. هَذَا، وَتُقْرَأُ الْبَسْمَلَةُ بَعْدَ التَّكْبِيرِ وَالاسْتِفْتَاحِ وَالتَّعَوُّذِ فِي الرَّكْعَةِ الأْولَى، أَمَّا فِيمَا بَعْدَهَا فَإِنَّهُ يَقْرَؤُهَا بَعْدَ تَكْبِيرِ الْقِيَامِ إِلَى تِلْكَ الرَّكْعَةِ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٨/٨٩).

وعلى هذا فقد اختلف الفقهاء حيال قراءة البسملة على ثلاثة أقوال:

أولاً: قول يوجب قراءتها؛ لأنها من الفاتحة.

وقول باستحباب قراءتها؛ لأنها ليست من الفاتحة، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته كانوا يقرءونها في صلاتهم، ولم يُعرف أنهم تركوا قراءتها مطلقًا.

وقول ثالث بكراهة قراءتها، وأن ذلك بدعة، وهو ظاهر الخطأ. (الجامع لأحكام الصلاة ٢/٢٠٥ محمود عبد اللطيف عويضة).

هل يجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية؟

ذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى أَنَّهُ تُسَنُّ قِرَاءَةُ الْبَسْمَلَةِ سِرًّا فِي الصَّلاَةِ الْجَهْرِيَّةِ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ١٦/١٨١)، وأقوى ما احتجوا به حديث أنس بن مالك قال: (صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم) [رواه أحمد ومسلم] وفي لفظ: (صليت خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخلف أبي بكر وعمر وعثمان فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم) رواه أحمد والنسائي]. ولأحمد ومسلم: (صليت خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان، وكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة، ولا في آخرها).

وعنه رضي الله عنه قال «صليت خلف

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخلف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وكانوا لا يجهرون بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»» رواه أحمد وابن حِبَّان وقال على شرط مسلم. فهذه أربع روايات صحيحة وردت في الإسرار بالبسملة في الصلاة من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه.

وحديث ابن عبد الله بن مغفل قال: (سمعني أبي وأنا أقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال: يا بني إياك والحدث، -قال: ولم أر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً كان أبغض إليه حدثًا في الإسلام منه- فإني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقولها، فلا تقلها إذا أنت قرأت فقل الحمد لله رب العالمين) - رواه الخمسة إلا أبا داود، قال الشيخ الألباني: ضعيف.

وقال الترمذي. و(حديث عبد الله بن مغفَّل حديث حسن، والعمل عليه عند أهل العلم من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم، ومن بعدهم من التابعين).(سنن الترمذي ٢/١٢).

وَذَهَبَ الشَّافعيَّةُ إلَى أَنَّ السُّنَّةَ الْجَهْرُ بِالتَّسْمِيَةِ فِي الصَّلاَةِ الْجَهْرِيَّةِ فِي الْفَاتِحَةِ وَفِي السُّورَةِ بَعْدَهَا، لما رَوَى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر ببسم الله الرحمن الرحيم، ولأنها تُقرأ على أنها آية من القرآن، بدليل أنها تُقرأ بعد التعوذ، فكان سنتها الجهر كسائر الفاتحة. (الموسوعة الفقهية الكويتية ١٦/١٨٢)، قال النووي: وقد رُويت أحاديث الجهر بالبسملة إما في البخاري وإما في مسلم وإما فيهما عن ستة من الصحابة: أبي هريرة وأم سلمة، وابن عباس وأنس، وعلي بن أبي طالب وسمرة بن جندب رضي الله عنهم (المجموع:٣ /٣٠٢).

وأقوى ما احتج به الشَّافعيَّةُ ما أخرجه النسائي من حديث أبي هريرة بلفظ: (قال نعيم المجمر: صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن) وفيه: (ويقول -إذا سلم- والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) قال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد.

(فهذه الأحاديث) فيها القوي والضعيف كما عرفت، وقد عارضتها الأحاديث الدالة على ترك البسملة التي قدمناها، وقد حُملت روايات حديث أنس السابقة على ترك الجهر لا ترك البسملة مطلقا؛ لما في تلك الرواية التي قدمناها في حديثه بلفظ: (فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم)، وكذلك حُملت رواية حديث عبد الله بن مغفل الآتية وغيرهما حملاً لما أطلقته أحاديث نفي قراءة البسملة على تلك الرواية المقيدة بنفي الجهر فقط. [نيل الأوطار للشوكاني ٣/٢١٥].

قال الحافظ ابن حجر تأييدا لمذهب الشافعي: وَإِذَا انْتَهَى الْبَحْث إِلَى أَنَّ مُحَصَّل حَدِيث أَنَس نَفْيُ الْجَهْر بِالْبَسْمَلَة عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ طَرِيق الْجَمْع بَيْنَ مُخْتَلَف الرِّوَايَات عَنْهُ، فَمَتَى وُجِدَتْ رِوَايَة فِيهَا إِثْبَات الْجَهْر قُدِّمَتْ عَلَى نَفْيه، لا بمجرد تَقديم رواية المثبت على النافي؛ لأن أنسا يبعد جدًا أن يصحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مدة عشر سنين ويصحب أبا بكر وعمر وعثمان خمسًا وعشرين سنة فلا يسمع منهم الجهر بها في صلاة واحدة، بل لكون أنس اعترف بأنه لا يحفظ هذا الحكم كأنه لبعد عهده به لم يذكر منه الجزم بالافتتاح بالحمد لله جهرًا، فلم يستحضر الجهر بالبسملة؛ فيتعين الأخذ بحديث من أثبت الجهر (فتح الباري ٣/١٠٥).

قال الشوكاني: ويؤيد ما قاله الحافظ من عدم استحضار أنس لذلك ما أخرجه

الدارقطني عن أبي سلمة قال: (سألت أنس بن مالك: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستفتح بالحمد لله رب العالمين أو ببسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال: إنك سألتني عن شيء ما أحفظه، وما سألني عنه أحد قبلك فقلت: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في النعلين قال: نعم) وعروض النسيان في مثل هذا غير مستنكر ثم عقب على ذلك بقوله: ولكنه لا يخفى عليك أن هذه الأحاديث التي استدل بها القائلون بالجهر منها ما لا يدل على المطلوب، وهو ما كان فيه ذكر أنها آية من الفاتحة، أو ذكر القراءة لها أو ذكر الأمر بقراءتها من دون تقييد بالجهر بها في الصلاة؛ لأنه لا ملازمة بين ذلك وبين المطلوب وهو الجهر بها في الصلاة. [نيل الأوطار للشوكاني ٣/٢١٥]

وقد أفاض كل فريق في الرد على أدلة الفريق الآخر بما لا يتسع المقام لعرضه.

واعلم أن عدم اتفاق كلمة الفقهاء في هذا المسألة يرجع إلى أن هؤلاء وأولئك عندما نظروا في النصوص وجدوا نصوصًا تقول بالجهر بها، ونصوصًا تقول بالإسرار بها، فأخذ الفريق الأول النصوص القائلة بالجهر، ولكنهم لم يستطيعوا تأويل النصوص القائلة بالإسرار إلا بتعسُّف، بل إن منهم من ردَّها، وأخذ الفريق الآخر النصوص القائلة بالإسرار لأنها أقوى إسنادًا، فرجَّحوها على النصوص القائلة بالجهر، ولا زالت هذه المسألة عالقة بين هؤلاء وأولئك دون حسم، (الجامع لأحكام الصلاة ٢/٢٠٥ محمود عبد اللطيف عويضة).

قال ابن القيم: وَكَانَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَجْهَرُ بِبِسْمِ اللّه الرّحْمَنِ الرّحِيم تَارَةً وَيُخْفِيهَا أَكْثَرَ مِمّا يَجْهَرُ بِهَا وَلاَ رَيب أنه لم يكن يجهر بها دائما فِي كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسَ مَرّاتٍ أَبَدًا حَضَرًا وَسَفَرًا وَيَخْفَى ذَلِكَ عَلَى خُلَفَائِهِ الرّاشِدِينَ وَعَلَى جُمْهُورِ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَلَدِهِ فِي الْأَعْصَارِ الْفَاضِلَةِ، هَذَا مِنْ أَمْحَلِ الْمُحَالِ حَتّى يَحْتَاجَ إلَى التّشَبّثِ فِيهِ بِأَلْفَاظٍ مُجْمَلَةٍ وَأَحَادِيثَ وَاهِيَةٍ فَصَحِيحُ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ غَيْرُ صَرِيحٍ وَصَرِيحُهَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَهَذَا مَوْضِعٌ يَسْتَدْعِي مُجَلّدًا ضَخْمًا. (زاد المعاد ١/١٩٩).

قال النووي:(واعلم) أن مسألة الجهر ليست مبنية على مسألة إثبات البسملة؛ لأن جماعة ممن يرى الإسرار بها لا يعتقدونها قرآنًا، بل يرونها من سنته كالتعوذ والتأمين، وجماعة ممن يرى الإسرار بها يعتقدونها قرآنًا، وإنما أسروا بها وجهر أولئك لما ترجح عند كل فريق من الأخبار والآثار. (المجموع للنووي ٣/٢٩٠).

أما لماذا الإسرار بها في الصلاة؟

فالجواب على ذلك فيما رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم هزأ منه المشركون، وقالوا: محمد يذكر إله اليمامة، وكان مسيلمة يتسمَّى الرحمن الرحيم، فلما نزلت هذه الآية أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن لا يُجهَر بها». قال الهيثمي (رجاله موثقون)، وهو يقصد آية «ولا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولا تُخَافِتْ بِهَا» [الإسراء: ١١٠]، فقد جاء ذكر هذه الآية صريحًا فيما رواه ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير قال «كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يرفع صوته بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)، وكان مسيلمة قد تسمى بالرحمن، فكان المشركون إذا سمعوا ذلك من النبي – صلى الله عليه وسلم – قالوا: قد ذُكر مسيلمةُ إلهُ اليمامة، ثم عارضوه بالمكاء والتَّصْدية والصَّفير، فأنزل الله تعالى: (ولا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولا تُخَافِتْ بِهَا).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



دروس مهمة لدعاة الأمة

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فقد التقى أنصار المدينة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبايعهم ليلة العقبة، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه، وأمره أن يُقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفقِّهم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة، وكان منزله (أي المكان الذي نزل فيه) على أسعد بن زرارة (أبي أمامة)؛ لأن أسعد بن زرارة كان ممن بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم من قبل على الإسلام.

ونشط مصعب بن عمير في الدعوة إلى الله في المدينة، محتميًا بعد الله تعالى بهذا الرجل الصالح أسعد بن زرارة ومن معه من المؤمنين؛ حتى استطاع التأثير على رجلين عظيمين زعيمين من زعماء الأوس، كان لإسلامهما الأثر الكبير في نشر الدعوة والإسلام في المدينة.

نموذج من الحكمة البالغة في الدعوة:

ثم «إن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير متوجهًا به إلى دار بني عبد الأشهل ابن خالة أسعد، فدخل به حائطا (بستان) من حوائط القوم على بئر يقال لها بئر مَرَق، فجلسا في البستان، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا بقدوم مصعب إلى المدينة، قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك! انطلق إلى هذين الرجلين (مصعب وأسعد) اللذين قد أتيا إلى دارنا ليسفِّها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارنا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني ما قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدمًا». انتهى من سيرة ابن إسحاق.

فسعد بن معاذ الرجل السيد العظيم القدر في الإسلام بعد ذلك، لم يكن يوم قال هذا الكلام لأسيد بن حضير؛ لم يكن أسلم يومئذ لا هو ولا أسيد، ولذلك وصف سعد هذا الدين بأنه يُسفه الضعفاء، وما قال هذا الكلام إلا لأنه لم يكن أسلم ولا خالط نور الإسلام قلبه، فكان مستمرًا على تقليد الأوائل من قومه والتمسك بعاداتهم المألوفة من غير تفكير ولا رويَّة ولا رأي، وهذا هو الداء الخطير يُصَاب به الكثير من الناس، فيغلق عقله عن التفكير في الحق وتبينه.

قال ابن إسحاق: «فأخذ أسيد بن حضير حربته بعد الكلام الذي قاله سعد له، وتوجه نحو الداعية مصعب وبجواره أسعد بن زرارة، فلما رأى أسعد بن زرارة أسيدًا قادمًا، قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه، فوقف أسيد عليهما شاتمًا، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا قَبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره، فقال أسيد: أنصفتَ، ثم ركز حربته وجلس إليهما». انتهى.

وهنا تظهر الحكمة البالغة في الدعوة، والمقدرة الفائقة في محاولة إذابة الجليد، وإزالة الران

الذي كان يحول بين أسيد وأمثاله وبين محاولة التفكير في الحق، بالحكمة والموعظة الحسنة، من غير عنف أو قهر ينفر من سماع الحق، ومن غير ضعف أيضا يهوّن من شخصية ممثلي هذا الحق.

وهذا من براعة مصعب رضي الله عنه في تسهيل قبول أسيد الجلوس والسماع، وليس عليه جناح في القبول أو الرفض بعد أن ينظر ويتمعن إن كان هذا الكلام يرضيه أو لا يرضيه، وهو الواثق بأن الحق له قوة وقدرة وبهاء ورونق يغزو القلوب السليمة والفطر المستقيمة.

قال ابن إسحاق: «فجلس أسيد فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا- أي مصعب وأسعد- فيما يُذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلامَ في إشراقه وتسهله قبل أن يتكلم، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتتطهر، وتطهّر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم.

حيلة ذكية:

فلما وقف أسيد بن حضير على نادي القوم قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمتُ الرجلين فوالله ما رأيتُ بهما بأسًا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت»، وأراد أسيد أن يشغل عقل سعد بن معاذ بقضية جانبية مخترعة ليصرفه عن كثرة سؤاله بشأن إسلامه حتى يذهب هو ويسمع بنفسه فقال له: «وقد حُدِّثتُ أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة (صاحب مصعب) ليقتلوه لما عرفوا أنه ابن خالتك ليُخفروك»، وهكذا أراد أسيد أن يشرك قوم سعد سيدهم في هذا الخير العظيم الذي هداه الله إليه، وهو يعلم أن سعد بن معاذ لو أسلم لم يختلف عليه اثنان من قومه لسيادته ومكانته العظيمة فيهم، فأراد أن يجذبه إلى الإسلام، فوفّقه الله إلى هذه الحيلة التي استطاع بها أن يغطّي على سمات الإسلام الظاهرة على وجهه التي أدركها سعد بن معاذ، وذلك لأن أسيدًا يريد أن يسمع سعد من مصعب بن عمير قبل أن يعلم بإسلامه؛ خشية أن تأخذه العزة ويهيمن عليه حجاب التقليد قبل أن يصل إلى مبلغ الدعوة؛ حيث سيسمع منه كلام الله تعالى الذي تأثر به، فنقل تركيزه قدر المستطاع بهذه الحيلة التي اختلقها ليصل منها إلى ما يريد من هداية سعد، وبالتبعية هداية قومه.

قال ابن إسحاق: «فقام سعد بن معاذ مغضبًا مبادرًا تخوفًا للذي ذُكر له من بني حارثة، وإرادتهم قتل ابن خالته أسعد بن زرارة، فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما. فقال أسعد بن زرارة لمصعب: يا مصعب؛ قد جاءك والله سيد مَنْ وراءه من قومه، إن يتبعْك لا يتخلف عنك منهم اثنان.

فوقف سعد عليهما متشتمًا، ثم قال لأسعد بن زرارة- ابن خالته-: يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا مني (أي ما وجدت صبري عليك)، أتغشانا في دارنا بما نكره؟

فقال مصعب لسعد بن معاذ: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهُّله. ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهَّر، وتطهِّر ثيابك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامدًا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير». انتهى.

وهذا هو الموقف العظيم الذي خطط له أسيد وهو ينتظر نتائجه؛ لعلمه بمكانة

سعد عند قومه.
قال ابن إسحاق: «فلما رأى قوم سعد سيدهم سعد بن معاذ مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل؛ كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة». [أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق ٢/٣٥٧].
وهكذا تحقق أمل سعد بن زرارة حينما ذكر أنه لو أسلم سعد لم يتخلف عنه قومه رضي الله عنهم.

حرب بعاث والتمهيد لدعوة الإسلام:

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان يوم بعاث يومًا قدَّمه الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد افترق ملؤهم وقُتلت سادتهم وجُرحوا، فقدَّمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في دخولهم الإسلام». [البخاري].
وهي تعني بهذا رضي الله عنها أن حرب بعاث التي سبقت الهجرة بخمس سنين قد أفنت عددًا كبيرًا من الأوس والخزرج والكبار الذين ترسخت فيهم السيادة يتمسكون بموروثاتهم التي هي مؤهلات سيادتهم، ويرون أن من العيب والنقص أن يتحولوا تابعين بعد أن كانوا متبوعين، فبقي أغلب السادة في القبيلتين من الجيل الثاني من الشباب الذين ما زالوا لم يدخلوا في الكهولة، فكانوا أسرع في الاستجابة لدعوة الإسلام من هؤلاء الشيوخ الذين ماتوا على عصبيتهم البغيضة، فكانت حرب بعاث تخليصًا وتخلصًا من عقبات الشيوخ الطاعنين في العمر، والذين يتبعهم شباب قبائلهم، فأفسحت الحرب للشباب الاختيار والوصول إلى الحق كهذين السيدين سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عن الجميع، وسبحان من يمكر ليتم نوره ولو كره الكارهون.

تهنئة واجبة

يسر أسرة تحرير مجلة التوحيد أن تتقدم بخالص التهاني للأخ الحبيب: د. مرزوق محمد مرزوق؛ لحصوله على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من كلية أصول الدين جامعة الأزهر، وكان عنوانها: «دور الحديث النبوي في التأصيل العقدي، والرد على المخالفين».
وأسرة تحرير المجلة تتمنى له مزيدًا من التوفيق والرقي.

رئيس التحرير

صدر حديثًا

معالم منهج الشيخ أحمد شاكر «رحمه الله»

صدر حديثًا كتاب جديد للشيخ متولي البراجيلي حول معالم منهج الشيخ أحمد شاكر في نقد الحديث عن مكتبة السنة بعابدين، وهو كتاب قيم، وإضافة قيمة، نسأل الله أن يبارك جهود علماء الأمة.

إشهار

تم بحمد الله تعالى إشهار فرع أنصار السنة المحمدية، فرع ٣ برج العرب الجديدة، تحت رقم (٣٢٣٠) بتاريخ ٢٠١٣/٢/١٤م طبقًا لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م.
والله ولي التوفيق.



قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار

الحلقة (١٥٣)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ وخطباء الجنائز والمآتم. وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق لهذه القصة الواهية.

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن الحارث بن الخزرج عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر إلى ملك الموت عليه السلام عند رأس رجل من الأنصار، فقال: يا ملك الموت، ارفق بصاحبي، فإنه مؤمن، فقال ملك الموت عليه السلام: طِبْ نفسًا، وقرَّ عينًا، واعلم أني بكل مؤمن رفيق، واعلم يا محمد أني لأقبض روح ابن آدم، فإذا صرخ صارخ من أهله قمت في الدار ومعي روحه، فقلت: ما هذا الصارخ؟ والله ما ظلمناه، ولا سبقنا أجله، ولا استعجلنا قدره، وما لنا في قبضه من ذنب. فإن ترضوا بما صنع الله، تؤجروا، وإن تحزنوا وتسخطوا تأثموا وتؤزروا، ما لكم عندي من عتبى، وإنَّ لنا عندكم بعدُ عودةً وعودةً، فالحذر الحذر.

وما من أهل بيت يا محمد شعر ولا مدر برٍّ ولا بَحْر، سهل ولا جبلٍ إلا أنا أتصفحهم في كل يوم وليلة، حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم. والله يا محمد لو أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو أذن بقبضها. اهـ.

ثانيًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (٤/٢٢٠) (ح٤١٨٨) في «مسند خزرج الأنصاري» (٤٠٣) قال: حدثنا إسحاق بن داود الصواف التستري، حدثنا محمد بن عبد الله بن عقيل حدثنا إسماعيل بن أبان، حدثنا عمرو بن شمر الجعفي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: سمعت الحارث بن الخزرج يقول: حدثني أبي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عليه السلام عند رأس رجل من الأنصار، فقال:.. فذكره، قال جعفر: بلغني أنه إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة، وإذا نظر عند الموت فمن كان يحافظ على الصلوات، دنا منه ملك ودفع عنه الشيطان، ولقنه الملك: «لا إله إلا الله محمد رسول الله، وذلك الحال العظيم». اهـ.

ثالثًا: التحقيق:

١- قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٣٢٦): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه عمر بن شمر الجعفي، والحارث بن الخزرج ولم أجد من ترجمهما، وبقية رجاله رجال الصحيح، وروى البزار منه إلى قوله: «واعلم أني بكل مؤمن رفيق». اهـ.

في تحقيق الإمام الهيثمي قال عمر بن شمر الجعفي، بينما هو في الأصل عند الإمام الطبراني في «المعجم»: (عمرو بن شمر الجعفي) لذلك لم يعرفه.

٣- ثم تأكدت أنه عمرو بن شمر الجعفي من «الميزان» (٣/٢٦٨/٦٣٨٤) حيث بَيَّن الإمام الذهبي أنه روى عن جعفر بن محمد فقال: «عمرو بن شمر الجعفي الكوفي الشيعي أبو عبد الله عن جعفر بن محمد، وجابر الجعفي والأعمش». اهـ.

٤- ثم تأكدت مرة أخرى أنه عمرو بن شمر الجعفي من «تهذيب الكمال» (٢/١٧/٤٠٥): حيث بيّن الإمام المزي في كتابه هذا أنه روى عنه إسماعيل بن أبان الوراق الأزدي أبو إسحاق ويقال أبو إبراهيم الكوفي.

٥- وهذا يحسبه من لا دراية له هينًا، ولكنه عند علماء هذه الصنعة عظيم؛ حيث إنه عندما أخرج الإمام الطبراني خبر هذه القصة ذكر من رواة سندها (إسماعيل بن أبان) باسمه واسم أبيه فقط مجردًا عن

نسبته، ونسبه وكنيته ولقبه، وهما اثنان كما بيّن ذلك الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/٦٥).

حيث قال: الأول: إسماعيل بن أبان: الورّاق الأزدي أبو إسحاق أبو إبراهيم الكوفي ثقة، مات سنة ست عشر ومائتين من التاسعة». اهـ.

الثاني: إسماعيل بن أبان: الغَنَوي الخياط الكوفي أبو إسحاق متروك رُمي بالوضع مات سنة عشر ومائتين من التاسعة». اهـ.

٧- قلت: وذِكر اسم الراوي واسم أبيه مجردًا في السند هذا يسمى في علم أصول رواية الحديث «المتفق والمفترق».

وأورده الإمام السيوطي في «التدريب» (٢/٣١٦) النوع الرابع والخمسون قال: «المتفق والمفترق من الأسماء، وهو متفق خطًا ولفظًا، وافترقت مسمياته، ومن ذلك إذا اشتبه الراويان المتفقان في الاسم؛ لكونهما متعاصرين، وقد زلق بسببه غير واحد من الأكابر». اهـ.

وأورده الحافظ السخاوي: في «شرح التقريب» (ص٥٨٥) النوع الرابع والخمسون وقال: «المتفق والمفترق هو متفق خطًا ولفظًا مع افتراق مسمياته، وهو مهم، وفائدته دفع توهم الاتحاد مما وقع لجماعة من الأكابر وأول أقسامه: من اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم». اهـ.

كذلك قال شيخه الحافظ ابن حجر في «النخبة» (٦٣): «ثم الرواة إن اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم فصاعدًا واختلفت أشخاصهم فهو «المتفق والمفترق»». اهـ.

ثم قال في «شرح النخبة»: «وفائدة معرفته: خشية أن يُظَنّ الشخصان شخصًا واحدًا».

لذلك قال السيوطي كما بينا آنفًا: «قد زلق بسببه غير واحد من الأكابر».

وقال أيضًا السخاوي: «دفع توهم الاتحاد مما وقع لجماعة من الأكابر».

قلت: وتظهر فائدة معرفته في التمييز بين المشتركين في الاسم، فربما يكون أحدهما ثقة والآخر ضعيفًا، فيُضعف ما هو صحيح أو يُصحح ما هو ضعيف.

وهذا ما جعل الشيخ الألباني رحمه الله في تحقيقه لإسماعيل بن أبان أحد رواة هذه القصة الواهية، وتبين له أن اثنان: أحدهما ثقة، والآخر ضعيف متروك رُمي بالوضع، كما بينا آنفًا، جعله يقول في «الضعيفة» (١٣/٩٢٤): «ولم يترجح عندي أيهما يُرَاد هنا، فإنهما من طبقة واحدة وظاهر كلام الهيثمي أنه الأول، والله أعلم». اهـ.

قلت: وقول الشيخ الألباني رحمه الله: «وظاهر كلام الهيثمي أنه الأول» وكلام الإمام الهيثمي رحمه الله أوردناه آنفًا: (ورواه الطبراني في «الكبير»، وفيه عمر بن شمر الجعفي والحارث بن خزرج، ولم أجد من ترجمهما، وبقية رجاله رجال الصحيح. اهـ).

قلت: أ- وقول الهيثمي: «لم أجد من ترجمهما»، لقد بينا آنفًا سبب عدم معرفته وهو التصحيف في الراوي (عمرو بن شمر) إلى (عُمر بن شمر).

ب- وقول الهيثمي: «وبقية رجاله رجال الصحيح» هو ما اعتمد عليه الألباني رحمه الله في قوله: «وظاهر كلام الهيثمي أنه الأول». اهـ.

قلت: والأول كما بينا آنفًا من قول الحافظ ابن حجر: «إسماعيل بن أبان الوراق الأزدي أبو إسحاق أو أبو إبراهيم الكوفي ثقة من التاسعة روى له البخاري».

قلت: فهو من رجال صحيح البخاري، وينطبق على قول الهيثمي: «وبقية رجاله رجال الصحيح».

ولقد بينا آنفًا أن من الأسس التي اعتمدها عليها في التأكيد من أن الراوي الذي هو علة هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية (عمرو بن شمر)، وليس هو (عمر بن شمر)؛ حيث إن الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٢/١٧/٤٠٥) بيّن أنه روى عنه إسماعيل بن أبان الوراق الأزدي أبو إسحاق، ويقال أبو إبراهيم الكوفي. اهـ.

وبهذا استطعنا أن نقف على حقيقة هذا الراوي الذي أدى تصحيف اسمه إلى التعتيم على الحافظ الهيثمي فلم يعرفه.

وبمثل هذا التحقيق استطاع الشيخ الألباني رحمه الله أن يتأكد من حقيقة الراوي الذي لم يترجح عنده نتيجة «المتفق والمفترق» فقال الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١٣/٩٢٤): «ثم تأكدت أنه الأول من «تهذيب المزي» فإنه ذَكر أنه روى عن عمرو بن شمر الجعفي».

وبعد هذا التحقيق الذي شمل الصناعة الحديثية للتصحيف، والمتفق والمفترق، ثم التأكد من الرواة والوقوف على علة هذه القصة الواهية، وهو عمر بن شمر الجعفي. فالتصحيف وكذلك المتفق والمفترق زلق بسببه غير واحد من الأكابر، فالهيثمي زلق والألباني تأكد كما بينا، وبهذا استبانت العلة، تلك العلة التي أوردها طبيب الحديث وعلله الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/٢/١٤٤) وقال: «عَمرو بن شمر روى بعضهم عن عمرو بن عبد الله الجعفي عن جابر منكر الحديث». اهـ.

قلت: «وهذا المصطلح عند علماء الجرح والتعديل له معناه؛ حيث قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١/٣٤٩): «البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه،

فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه.

قلت: ويعتبر بهذا البيان أن لفظ الإمام البخاري «منكر الحديث» من أسوأ مراتب الجرح حيث إن من لا تحل الرواية عنه كذاب وضاع.

وصاحب هذا الجرح: صاحبه حديثه موضوع كما بينه السيوطي في «التدريب» (١/٢٧٤) النوع الحادي والعشرون حيث قال: «الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر أنواع الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم به أي بوضعه في أي معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها: لا مُبينا ومقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

قلت: انظر إلى تعريف الحديث الموضوع، ثم انظر إلى رتبته، ثم انظر إلى حكم روايته بأنه تحرم روايته، ثم انظر إلى بيان معنى قول البخاري في الراوي منكر الحديث بأنه يطلقه على من لا تحل الرواية عنه، أي حديثه موضوع وهو شر الأحاديث الضعيفة وأقبحها.

ولكن الإمام البخاري رحمه الله كما قال الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص٥٠٤): «وللبخاري في كلامه على الرجال توقٍ زائد، وتحرٍّ بليغ يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل فإن أكثر ما يقول: سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا». اهـ.

قلت: ومن أراد أن يتأمل قول البخاري في عمرو بن شمر بأنه منكر الحديث ومدى ما فيه من توقٍ زائدٍ وتحرٍّ بليغ، فلينظر إلى قول الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١/٧٥): «عمرو بن شمر الجعفي: كنيته أبو عبد الله، يروي عن جابر الجعفي عداده من أهل الكوفة، روى عنه أهلها كان رافضيًا يشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ممن يروي الموضوعات عن الثقات في فضائل أهل البيت وغيرها، لا يحل كتابة حديثه إلا على وجه التعجب».

وأخرج عن يحيى بن معين أنه قال: عمرو بن شمر: ليس بثقة.

وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٢٦٨/٦٣٨٤): «عمرو بن شمر الجعفي الكوفي الشيعي أبو عبد الله عن جعفر بن محمد وجابر الجعفي والأعمش، وقال الجوزجاني: زائغ كذاب». اهـ.

وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٤٥١): «عمرو بن شمر متروك الحديث، كوفي». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح له معناه عند الإمام النسائي، ولقد بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (٧٠) فقال: «ولهذا كان مذهب النسائي أن لا يَتْرُك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

وفي سؤالات أبي بكر البرقاني للإمام أبي الحسن الدارقطني (٣٧١) قال: سألته عن عمرو بن شمر فقال: كوفي متروك. اهـ.

وأورده الحافظ العقيلي في «الضعفاء والمتروكين» (٣/٢٧٥/١٢٨٢) وأخرج بسنده عن يحيى بن معين قال عمرو بن شمر ليس بشيء، وقال: لا يُكتب حديثه، ثم أخرج بسنده عن البخاري قال عمرو بن شمر: منكر الحديث.

وأورده الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٥/١٢٩) (٣٢٥)، وأخرج بسنده عن يحيى بن معين قال: عمرو بن شمر ليس بشيء، ضعيف، لا يُكتب حديثه.

وأخرج بسنده عن البخاري قال: عمرو بن شمر منكر الحديث، وأخرج بسنده عن النسائي قال: عمرو بن شمر كوفي متروك الحديث، وقال: سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي: عمرو بن شمر زائغ كذاب، ثم ختم ترجمة عمرو بن شمر قائلاً: «عامة ما يرويه غير محفوظ». اهـ.

فائدة:

قول الحافظ ابن عدي في الراوي: «وعامة ما يرويه غير محفوظ» لا بد للقارئ الكريم أن يعرف حقيقة حتى يقف على معناه، وكذلك لا بد لطالب هذا العلم أن يعرف مناهج المحدثين من أئمة الجرح والتعديل ومصطلحاتهم الخاصة بهم، وعلى قدر هذه المعرفة يكون التبحر في هذه الصناعة، وعلى قدر هذا التبحر في هذه الصناعة يستبين له الحديث، فيعرف الطيب من الخبيث ولينظر طالب هذا الفن إلى ما ذكره الإمام الحافظ ابن حبان في كتابه «المجروحين» (٣/٨٢)، (٣/٧٩)، (٣/٢٤).

فهذا المصطلح الذي ختم به الإمام الحافظ ابن عدي ترجمة عمرو بن شمر «عامة ما يرويه غير محفوظ» يدل الباحث على أن الراوي الذي ختم الحافظ ابن عدي ترجمته بهذه الجملة الاصطلاحية إما زائغ كذاب، أو كذاب أو متروك، أو منكر الحديث أو ليس بشيء، وقد يجمع وصفين من هذه الأوصاف أو أكثر، وهذا واضح تمامًا من البحث في الرواة الذين ختم الإمام الحافظ ابن عدي ترجمتهم بقوله: «عامة ما يرويه غير محفوظ»، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

١- عمرو بن شمر ذكره الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٥/١٢٩) (١٢٩٢/٣٢٥).

٢- عمار بن هارون أبو ياسر المستملي، ذكره ابن عدي في «الكامل» (٥/٧٥) (١٢٥٤/٢٨٧).

٣- عطاء بن عجلان العطار بصري، ذكره ابن عدي

في «الكامل» (٥/٣٦٥) (١٥٢٣/٥٥٥).
٤- عصمة بن محمد بن فضالة مدني، ذكره ابن عدي في «الكامل» (٥/٣٧١) (١٥٣٥/٥٦٧).
٥- هارون بن محمد أبو الطيب، ذكره ابن عدي في «الكامل» (٧/١٢٨) (٢٠٤٦/٢٩).
٦- يوسف بن عطية الباهلي، ذكره ابن عدي في «الكامل» (٧/١٥٤) (٢٠٦٤/١١).
٧- يحيى بن العلاء الرازي، ذكره ابن عدي في «الكامل» (٧/١٩٨) (٢١٠٤/٥١)، وذكر له أحاديث مناكير من بينها حديث «الأوعال الثمانية» ثم ختم الترجمة فقال: «وليحيى بن العلاء غير ما ذكرت، والذي ذكرت مع ما لم أذكر مما لا يُتابع عليه، وكلها غير محفوظة». اهـ.
وانظر إلى العلاقة بين المصطلحين «كلها غير محفوظة» و«مما لا يُتابع عليه».
٨- يحيى بن المتوكل الباهلي أبو عقيل، ذكره ابن عدي في «الكامل» (٧/٢٠٦) (٢١٠٨/٥٥).
٩- سوار بن مصعب الهمداني، ذكره ابن عدي في «الكامل» (٣/٤٥٤) (٨٧١/١٣٩).
١٠- مسلمة بن علي أبو سعيد الخشني، ذكره ابن عدي في «الكامل» (٦/٣١٣) (١٧٩٩/١٧٨).
قلت: هذه عشرة كاملة من التراجم على سبيل المثال لا الحصر، والتي ختم فيها الإمام الحافظ ابن عدي كل ترجمة بهذا المصطلح عنده للراوي بقوله: «عامة ما يرويه غير محفوظ».
ولقد بدأت العشرة بعلة هذه القصة الواهية عمرو بن شمر الجعفي، وتبين من أقوال أئمة الجرح أنه زائغ كذاب، متروك، منكر الحديث ليس بشيء، وختم ترجمته الإمام الحافظ ابن عدي بقوله: «عامة ما يرويه غير محفوظ».
وبهذا تكون قصة «النبي صلى الله عليه وسلم مع ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار» قصة واهية.

رابعًا: بدائل صحيحة

لقد تبين أن هذه القصة واهية والتي جاء فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى ملك الموت عليه السلام عند رأس رجل من الأنصار فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال ملك الموت عليه السلام: طب نفسًا، وقرّ عينًا، واعلم أني بكل مؤمن رفيق....» القصة.
قلت: ويغني عن هذه القصة الواهية في الرفق بالمؤمن عند الاحتضار، وقول ملك الموت للنبي صلى الله عليه وسلم: (اعلم أني بكل مؤمن رفيق) يغني عنه هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/٢٨٧) (ح١٨٥٥٧) من حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ، فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ...».
قلت: والحديث طويل يصل إلى خمسين سطرًا، ولقد ذكرنا منه ما يبين رفق ملك الموت بالمؤمن عند الاحتضار، وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الأعمش عن منهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب مرفوعًا به ومن طريق أحمد أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/٣٧-٤٠)، وصرح بتحديث الأعمش، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين؛ فقد احتجا جميعًا بالمنهال بن عمرو وزاذان أبي عمر الكندي، وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة. اهـ.
قلت: وفي هذا نذكر بأهداف هذه السلسلة:
١- أن يقف القارئ الكريم على درجة القصة، وحسبه هذا القدر.
٢- والداعية يكون على حذر ويسلم له عمله على السنة وحدها يعرف مواضع هذه القصة.
٣- وطالب هذا الفن يجد نماذج من علم الحديث التطبيقي.
هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الصلاح؛ طُرُقُهُ وثمراتُه

إعداد/ محمود سرحان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

قال الله تعالى: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» [الأنبياء: ١٠٥].

لقد تكررت مادة «الصلاح والإصلاح» في القرآن الكريم أكثر من مائة وسبعين مرة، مما دفعني إلى الحديث عن هذا الموضوع، ولأنه من الأهمية بمكان.

وبتوافر عنصر الصلاح في النفس، وعنصر الإصلاح للنفس، يتحقق للإنسان اكتمال فضيلة أخلاقية قرآنية ذات شعبتين تكمل إحداهما الأخرى، تلك الفضيلة هي ما عبرت عنه بكلمتي «الصلاح والإصلاح».

الصلاح لغة:

قال الراغب: قوبل الصلاح في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئ، قال الله تعالى: «خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا» [سورة التوبة: ١٠٢]، وقال عز وجل: «وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا» [الأعراف: ٥٦].

الصلاح اصطلاحًا:

قال الكفوي: الصلاح هو سلوك طريق الهدى، وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه الشرع والعقل. [الكليات للكفوي ص٥٦١].

والصالح: المستقيم الحال في نفسه، وقال بعضهم: هو القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد، والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى الأنبياء والمرسلين. [الفتح ١٠/٥٢٦].

وذكر القرآن المجيد طائفة من الأنبياء والمرسلين، وعطر كلاً منهم بأنه موصوف بصفة الصلاح.

قال الله تعالى عن إبراهيم: «وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» [البقرة: ١٣٠].

قال تعالى عن يحيى: «فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ» [آل عمران: ٣٩].

وقال تعالى عن عيسى: «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ» [آل عمران: ٤٦].

وقال تعالى: «وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ» [الأنعام: ٨٥].

وقال تعالى: «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ» [الأنبياء: ٧٢].

وقال تعالى: «وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ» [الأنبياء: ٨٥].

وقد وصف الله عز وجل الصحابة والمؤمنين والمؤمنات بصفة الصلاح:

قال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ» [العنكبوت: ٩].

عَنْ عبد الله بن عمر عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِه، يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِه، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لَهَا، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَايْمُ اللَّهِ إِنَّ هَذَا لَهَا لَخَلِيقٌ -يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ- وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ

لأَحَبُّهُمْ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِه، فَأُوصِيكُمْ بِه فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ». [البخاري: ٣٧٣٠، ومسلم: ٢٤٢٦].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة». [مسلم: ١٤٦٧].

طرق الصلاح:

لما كانت صفة الصلاح من سمات الأنبياء والمرسلين، وجب على المسلم أن يتحلى بها وأن يسلك الطريق لتحصيلها، وتحصيلها بما يلي:

أ- الدعاء وهو أن تسأل الله عز وجل أن يجعلك من الصالحين:

فقد ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم أن أنبياءه ورسله سألوه سبحانه أن يجعلهم من الصالحين، قال الله تعالى عن إبراهيم: «رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» [الشعراء: ٨٣]، وقال تعالى عن يوسف: «تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» [يوسف: ١٠١]، وقال تعالى عن سليمان: «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ» [النمل: ١٩].

ب- العمل وهو أن تسلك طريق الصالحين:

قال إبراهيم بن أدهم: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين، حتى تجوز ست

أولاها: أن تغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدة.

والثانية: أن تغلق باب العز، وتفتح باب الذل.

والثالثة: أن تغلق باب الراحة، وتفتح باب الجهد.

والرابعة: أن تغلق باب النوم، وتفتح باب السهر.

والخامسة: أن تغلق باب الغنى، وتفتح باب الفقر.

والسادسة: أن تغلق باب الأمل، وتفتح باب الاستعداد للموت.

ويقول أبو العباس بن عطاء: «خلق الله الصالحين للملازمة، قال الله تعالى: «وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى» [الفتح: ٢٦]». [انظر موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي (٢/٢٢٢)].

جـ- أن تجالس الصالحين وأن تطالع سيرهم:

فالطيور على أشكالها تقع، وكل قرين بالمقارن يقتدي، وإن العبد ليستمد من لحظ الصالحين قبل لفظهم؛ لأن رؤيتهم تذكّره بالله عز وجل.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» [يونس: ٦٢]، قال: هم الذين يُذْكَر الله لرؤيتهم. [انظر السلسلة الصحيحة: ١٦٤٦].

إلا أن مجالسة الصالحين قد تتعذر، وخاصة في زمان قل فيه الصالحون، فينبغي أن نعدل عن المشاهدة إلى السماع، فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم.

وقد وصف الله عز وجل الصالحين في كتابه الكريم بصفات منها:

قيام الليل - تلاوة آيات الله - الإيمان بالله واليوم الآخر - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - المسارعة في الخيرات، وكذلك وصفهم الله عز وجل بالقنوت وهو المداومة على الطاعة وحفظ النفس والمال في غيبة الزوج.

قال الله تعالى: «لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

ثمرات الصلاح:

امتن الله عز وجل على الصالحين بالعطاء الحسن في الدارين ومن ذلك:

أولاً: ولاية الله لهم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

ثانيًا: توريث الله عز وجل لهم الأرض:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

ثالثًا: مغفرة الله لذنوبهم:

قال الله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٢٥].

رابعًا: دخول الجنة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

خامسًا: استجابة الله لدعائهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث؛ إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له». [مسلم: ١٦٣١].

سادسًا: حفظ الله عز وجل لهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وليقل: سبحانك اللهم ربي بك وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين». [البخاري: ٦٣٢٠، ومسلم: ٢٧١٤].

سابعًا: خير متاع يتمتع به العبد في الدنيا المرأة الصالحة:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة». [مسلم: ١٤٦٧].

ثامناً: السلام عليهم في كل صلاة:

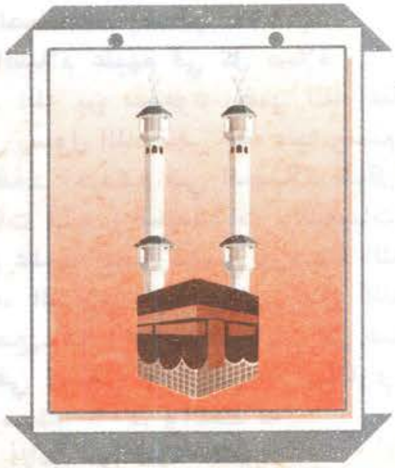
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإذا قالها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض». [البخاري: ٨٣١، ومسلم: ٤٠٢، واللفظ له].

تاسعاً: الأمن من فتنة القبر:

فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس لما خسفت الشمس فقال: «وإنه قد أوحي إليَّ أنكم تفتنون في القبور قريبًا، أو مثل فتنة المسيح الدجال، لا أدري أي ذلك قالت أسماء - قلت: لأن أسماء راوية الحديث - فيؤتى أحدكم فيقال: ما عملْتَ بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن - لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيقول: هو محمد، هو رسول الله جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وأطعنا، ثلاث مرات، فيقال له: نم. قد كنا نعلم إنك لتؤمن به، فنم صالحا».[البخاري: ١٨٤، ومسلم: ٩٠٥، واللفظ له].

وبعدُ، فلنتوجه إلى الله بالرجاء في تحقيق الصلاح والإصلاح لأنفسنا ولسائر المسلمين، فضلاً من الله ونعمة ولندع مع معاوية بن قرة قائلين: اللهم إن الصالحين أنت أصلحتهم، ورزقتهم أن عملوا بطاعتك، فرضيت عنهم، اللهم كما أصلحتهم فأصلحنا، وكما رزقتهم إن عملوا بطاعتك فرضيت عنهم، فارزقنا أن نعمل بطاعتك، وارض عنا.

هذا والحمد لله رب العالمين.



آداب الأخوة والصحبة

الحلقة التاسعة

النميمة.. ووجوب اجتنابها

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله الذي جعل المؤمنين إخوة في الإيمان، وشرع لهم من الأسباب ما تقوم به تلك الأخوة وتستمر على مدى الزمان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، شبّه العلاقة بين المؤمنين بعضهم ببعض بالبنيان، فصلّ اللهم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد بيّنا فيما سبق أن أخوة الدين والرابطة الدينية أقوى من كل رابطة وصلة، وبيّنا أننا يجب علينا أن نحقق هذه الأخوة بالتحابّ والتآلف فيما بيننا، ومحبة الخير والتعاون على الخير والبر، وكذلك اجتناب الأسباب التي تُضعف ذلك وتُنقصه، فقد شرع الله لنا ما يقوّي الأخوة، وينمّي المحبة، ويزيل العداوة والفُرقة، ونهى عن كل ما يُوجب تفرق المسلمين وتباعدهم، ولذا جاء الإسلام بتحريم النميمة والسعي بين الناس بالإفساد بينهم.

أولاً: مفهوم النميمة:

النميمة: هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد، وقيل: هي إفشاء السر وهتك الستر عما يُكره كشفه. [راجع الأذكار للنووي].

وقال الجرجاني والمناوي: النمام: هو الذي يتحدث مع القوم فينمّ عليهم فيكشف ما يُكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه، أو الثالث أي النمام، وسواء أكان الكشف بالعبارة أو بالإشارة أو بغيرها. [راجع التعريفات].

وقال الذهبي: النمّام هو من ينقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد بينهم، والنميمة حرام بإجماع المسلمين، قال الله عز وجل: «وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ» [القلم: ١٠- ١١].

وروى الإمام البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على قبرين فقال: «إنهما ليُعذبان، وما يُعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة».

وجاء في كتاب الزواجر: وجه كون «النمّ» كبيرة ما فيه من الإفساد وما يترتب عليه من المضارّ، والحكم على ما هو كذلك بأنه كبيرة ظاهرٌ جليّ، وليس في معناه، بل ولا قريبًا منه مجرد الإخبار بشيء عمن يُكره كشفه من غير أن يترتب عليه ضرر ولا هو عيب ولا نقص؛ لأن الغيبة لا توجد إلا مع كون الكلام المنقول نقصًا وعيبًا، ومن ثم فالنميمة أقبح من الغيبة، ينبغي ألا توجد بوصف كونها كبيرة إلا إذا كان ما ينمّ به مفسدة. اهـ.

ثانيًا: عقوبة النمام:

قال جعفر الصادق: النميمة لا تقرب مودة إلا أفسدتها، ولا عداوة إلا جددتها، ولا جماعة إلا بددتها.

ولذلك فالنميمة تؤذي وتضرّ، وتؤلم، وتجلب الخصام والنفور، وتذكي نار العداوة بين المتآلفين، وهي طريق يوصل إلى النار.

هي النميمة مزيلة كل محبة ومبعدة كل مودة وتآلف وتآخ.

وهي عنوان الجُبن والضعف والدس والكيد والتملق والنفاق.

ولقد حذّر الشاعر من الوقوع فيها بقوله - كما جاء في موارد الظمآن (٣/٣٨٥):

تنحَّ عن النميمة واجتنبها
فإن النمّ يُحبط كل أجر
يثير أخو النميمة كل شرّ
ويكشف للخلائق كل سرّ
ويقتل نفسه وسواه ظلمًا
وليس النمّ من أفعال حر

ولقد صدق أبو العتاهية فيما قال.

فما استعرت الفتن ولا اشتعلت الحروب ولا تفرقت الأهل ولا تباعدت الأقارب ولا تباغض الأزواج إلا والنميمة من وراء ذلك، تضرم غيظ الفريقين، وتؤجج نار الطرفين؛ فالسعاة الأوغاد والنمامون الوشاة لا يسعدهم أن يروا إخوة متحابين ولا يسعدهم أن يروا جماعة مؤتلفين، بل لا تنام لهم عين ولا ينعم لهم بال ولا يقر لهم قرار إلا إذا شاهدوا الفتن محتدمة، والصدور موغرة، والخصومة على أشدها بين الأفراد والجماعات، ولقد سماهم الإسلام بأسماء تناسب أفعالهم، وخلع عليهم من صفات القبح والنقص ما يليق بهم، فاستمع إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حقهم: «إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا يوم القيامة».

وها هو القرآن الكريم يصفهم بما هم أهله من الشناعة والتقبيح فيقول سبحانه: «وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ» [القلم: ١٠- ١٣].

ومعنى ذلك أن النميمة من صفات الأخساء والأدنياء الذين لا أخلاق لهم، وقد أبغضهم الله بقدر ما أبغضهم الناس، ويكفي أنهم أبعد الخلائق منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أقربكم مني منزلًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا والموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون، وأبعدكم مني منازل يوم القيامة أراذلكم أخلاقًا المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة». رواه الطبراني وحسنه الألباني.

وروى الإمام مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن محمدًا صلى الله عليه

وسلم قال: «ألا أنبئكم ما العضه [أي: الفحش] النميمة والقالة بين الناس».

والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقا، ويكذب حتى يكتب كذابًا» رواه البخاري.

وحق للرسول صلى الله عليه وسلم أن يبعدهم عن مجلسه، فقد أبعدتهم الناس عن مجالسهم وأقصوهم عن مجامعهم فلا يتكلم واحد من العقلاء أمامهم كلمة، ولا يتفوه في مجلسهم بخير، ولا يذيع بين أيديهم سرًا مكنونا؛ لأنهم لا يُؤمَنون على شيء من هذا، فهم تجار أخبار ومذياع أسرار، حتى وإن كانت هذه الأسرار من أخص أسرار المنازل والبيوت التي يضرّ نقلها ويحرم إفشاؤها.

ومن ثم كان حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على هؤلاء، كما في صحيح البخاري ومسلم: «لا يدخل الجنة نمام».

وفي صحيح البخاري مرَّ رجل على حذيفة فقيل: إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخل الجنة قتات».

وروى أبو داود وصححه الألباني من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان له وجهان في الدنيا، كان له يوم القيامة لسانان من نار».

وروى الإمام أحمد وصححه الألباني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينًا».

وروى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من شرِّ الناس ذا الوجهين؛ الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه».

وفي رواية: «تجدون من شرِّ الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه».

فالمذموم من يزين لكل طائفة عملها، ويُقبّحه عند الأخرى، ويذمّ كل طائفة عند الأخرى، وهذا حاله كحال المنافقين، إذ هو متخلق بالباطل، ويدخل الفساد بين الناس.

وما نراه في بلادنا الآن من أناس يزيدون النار اشتعالاً وينفخون فيها، في كل من الجانبين، يُثير هؤلاء على هؤلاء، ويهيج هؤلاء على هؤلاء بالكذب والزور والبهتان وإيقاع الفتنة، «وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ» [البقرة: ١٩١]؛ لأن القتل يقطع حياة فرد أو أفراد قليلين، والفتنة تقطع راحة الحياة للكثيرين، هؤلاء الذين يشعلون نار التخاصم والتناحر بين طوائف المسلمين.

ثالثا: علاج النميمة:

ينبغي لكل من حُملت إليه النميمة، وقيل له: إن فلانًا قال فيك كذا وكذا... إلخ فعليه بالآتي:

١- ألا يصدق؛ لأن النمام فاسق.

٢- أن ينهاه عن ذلك، وينصحه، ويقبّح عليه فعله.

٣- أن يبغضه في الله إذا استمر على ذلك.

٤- ألا تظن بأخيك الغائب السوء «اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» [الحجرات: ١٢].

٥- ألا ترضى لنفسك ما نهيت النمامّ عنه، ولا تحكي نميمة.. فتكون نمامًا ومغتابًا. [راجع الكبائر للذهبي].

٦- وليكن حظ إخوانك منك إذا فارقتهم وفارقوك ألا تعبهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مقدمة في فقه النوازل

الحلقة السادسة

إعداد/ د. محمد يسري

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين.

ضوابط الإفادة من المذاهب الفقهية في الحكم على النوازل:

بعد أن تقررت أصول الأئمة الأربعة بشيء من الإيضاح وبان اتفاق الجميع على مرجعية الكتاب والسنة وما استند إليهما من الإجماع أو القياس، وتميزت ملامح اجتهاد كل مدرسة في التعامل مع الكتاب والسنة في دلالات ألفاظها وموقف كلٍّ من أحاديث الآحاد والمراسيل والحديث الضعيف، ورتبة ذلك في سلم أولويات الاستنباط، والموقف من القياس وسائر الأدلة المختلف فيها؛ كالاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع وقول الصحابي وغيرهما- فقد تكشف البحث عن جملة حقائق مهمة:

أولاها: مذاهب الفقهاء الأربعة المتبوعين مناهج وطرق لاستنباط أحكام الحوادث، ومعرفة ما يجب حيال النوازل، وهي مدارس للتعلم وطرق للتعبد.

قال الشاطبي: «إذا ثبت أن الحمل على التوسط هو الموافق لقصد الشارع، وهو الذي كان عليه السلف الصالح فلينظر المقلد أي مذهب كان أجرى على هذا الطريق فهو أحق بالاتباع وأولى بالاعتبار، وإن كانت المذاهب كلها طرقًا إلى الله تعالى، ولكن الترجيح فيها لا بد منه؛ لأنه أبعد من اتباع الهوى وأقرب إلى تحري قصد الشارع في مسائل الاجتهاد». [الموافقات، للشاطبي، (٤/٢٦٠-٢٦١)].

ثانيها: اعتمدت المذاهب جميعًا -على تفاوت بينها- النظر إلى المقاصد والمصالح؛ فمن متوسع في الأخذ بها متعمق في أغاويرها، ومن متشبث بالنصوص متمسك بأهدابها؛ فالتباين إنما هو في التنائي عن النص والشسوع عنه، أو اللياطة به واللصوق. [صناعة الفتوى، لابن بيه، (ص١٤٤)].

ثالثها: كل المذاهب بدون استثناء اعتمدت قادة مجتهدين، ومجتهدي مذهب، ومقلدين متبصرين، ومقلدين ناقلين، وجعلت من سلك سبيلهم من عوام المسلمين في سعة من دينه، وسداد في أمره.

كما أنها اعتمدت ما اشتهر من أقوال هؤلاء وترجح، غير أنها ذكرت جواز العمل بغير الراجح وبغير المشهور منها؛ لضرورة أو حاجة تنزل منزلتها بضوابط معلومة، منها: عروض مصلحة تستجلب، أو مفسدة تُستدفع، أو إحراز رفق بالعباد، أو تحقيق تيسير على الناس، وقد ذكر السبكي في فتاويه أنه يجوز تقليد الوجه الضعيف في نفس الأمر بالنسبة للعمل في حق نفسه، لا الفتوى والحكم، فقد نقل ابن الصلاح الإجماع على أنه لا يجوز. [فتاوى السبكي، (١٢/٢)، نهاية المحتاج، للرملي، (٤٧/١)].

وعند المالكية اشترطوا ألا يكون القول ضعيفًا جدًا، وأن تثبت نسبته إلى قائل يقتدى به علمًا وورعًا، وأن تكون الضرورة محققة لا متوهمة. [حاشية الدسوقي على الدردير، (١٣٠/٤)، نشر البنود، لعبد الله الشنقيطي، (٢/٢٧٥-٢٧٦)].

وقد نقل ابن عابدين جواز العمل بالقول الضعيف للمصلحة، وفي موضع ضرورة طلبًا للتيسير، وقال: «وبه علم أن المضطر له العمل بذلك لنفسه كما قلنا، وأن المفتي له الإفتاء به للمضطر، وينبغي أن يلحق بالضرورة أيضًا ما قدَّمناه من أنه لا يفتى بكفر مسلم في كفره اختلاف، ولو رواية ضعيفة؛ فقد عدلوا عن الإفتاء بالصحيح؛ لأن الكفر شيء عظيم». [شرح

عقود رسم المفتي، لابن عابدين، (١/٥٠)].
وقد حقق بعض الباحثين جواز العمل بالمرجوح والأخذ به عند الضرورة والحاجة التي تنزل منزلتها، وذلك لدفع مفسدة تعتبر شرعًا، لا لجلب مصلحة؛ استنادًا إلى أن الضرورات تبيح المحظورات، وجواز ارتكاب أدنى المفسدتين لتفويت أعلاهما قال القرافي: «إذا رأينا من فعل شيئًا مختلفًا في تحريمه وتحليله، وهو يعتقد تحريمه أنكرنا عليه؛ لأنه منتهك الحرمة من جهة اعتقاده». [الفروق للقرافي، (٤/٤٣٧)].

رابعها: وجد بعد عصر نشوء المذاهب الأربعة علماء متفقهة بدأوا متمذهبين وانتهوا مجتهدين يتصرفون تصرفات المجتهد المطلق، وقد جمعت فتاويهم ودُونت مسائلهم، ويمثل هذا التوجه مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية؛ حيث يعتمد اعتمادًا واصبًا على الكتاب والسنة وأقوال السلف، يصحح ويرجح أقوالاً للصحابة والتابعين شبه مهجورة إذا ظهر له أنها أسعد بالدليل والقواعد، «وتكاد فتاوى ابن تيمية تكون المجموعة الفريدة -بعد عصر المجتهدين- التي ارتفعت عن التقليد، وسمت عن مجرد النقل عن الأئمة إلى مرتبة الاستنباط والتصرف في الأدلة؛ تفصيلاً لمجمل، وتأويلاً لمشكل، وترجيحًا عند تعارض.

مع العلم أن فتاوى ابن تيمية تمثل خلاصة فقهه الذي يتفق غالبًا مع المشهور من مذهب أحمد، إلا أنها أيضًا تمثل اجتهاداته واختياراته التي قد يرجح منها الرواية المرجوحة، وفي أحيان أخرى قد يعتمد فيها بعض آراء أئمة المذاهب الأخرى، وبخاصة المذهب المالكي، إلا أنه قد يخالف الأئمة الأربعة، ويعتمد أقوال الصحابة أو التابعين، ويتصرف تصرف المجتهد المطلق، مع اختيارات يصعب تقليدها أحيانًا». [صناعة الفتوى، لابن بيه، (ص١٤٥-١٤٦)].

وفيما يأتي ضوابط نافعة في الإفادة من المذاهب الفقهية الأربعة في معرفة أحكام النوازل الواقعة، ولا سيما نوازل الأقليات المسلمة:

أولاً: التزام المذهب الواحد غير لازم:

الناظر في مسائل النوازل -ولا سيما نوازل الأقليات- لا بد له من أهلية علمية متميزة نظرًا لجدة تلك المسائل، ووعورة مسالك تحصيل أحكامها، مع تلاطم في متغيرات الواقع الذي يحيط بها، وعليه فلا بد أن يكون من أهل العلم بالفقه المعتبرين، وهذا لا يتأتى إلا بعد درس للفقه طويل، وخبرة ببعض مذاهب الأئمة فيه، ومع شيوع دعوى تعذر وجود المجتهد المستقل في هذا الزمان؛ فإن هذا لا يمنع من وجود مجتهد في مذهب إمام من الأئمة، أو نوع من أنواع الفقه والعلم، أو في مسألة أو مسائل من العلم، وهذا يستتبع أن يوسع الباحث في نوازل الأقليات المعاصرة دائرة بحثه؛ فيطلع على مذاهب الأئمة الأربعة وأقوالهم وفتاويهم، وسواء أكان مقلدًا في مذهبه الفقهي أم مجتهدًا.

يقول القرافي: «يجوز تقليد المذاهب في النوازل» [شرح تنقيح الفصول، للقرافي، (ص٣٣٩)].

وقال النووي: «الذي يقتضيه الدليل أنه لا يلزم المقلد التمذهب بمذهب، بل يستفتي من شاء أو من اتفق».[روضة الطالبين، للنووي، (١١/١١٧)].

وقال ابن حجر: «وظاهره جواز الانتقال من مذهب لآخر، وأفتى شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام بجواز تقليد إمام مذهب في مسألة، وآخر في أخرى، وهكذا من غير التزام مذهب معين».[الفتاوى الفقهية الكبرى، لابن حجر الهيتمي، (٤/٣٠٥)].

وقال ابن السبكي: «يجوز تقليد الصحابة (أي: خلافًا للمعتمد في المذهب) وهو الصحيح عندي». [الفتاوى الفقهية، لابن حجر الهيتمي، (٤/٣٠٧)].

وبناءً على هذا فإنه مما يعين على الوصول إلى الحق ومعرفة وجه الصواب في النوازل المعاصرة تتبع مطاوي الكتب وخبايا الأسفار، وأقوال علماء المذاهب في شتى الأمصار، وبمقدار علو الهمة في تحصيلها تتنور الأفكار.

ويؤكد الشيخ الزرقا على أهمية هذا العمل قائلاً: «إن مجموعة المذاهب الاجتهادية إذا اعتبرت كمذهب واحد كبير في الشريعة، وكل مذهب منها يعتبر كالقول في المذهب الواحد؛ فيختار العلماء من هذه المذاهب، ويرجحون ما هو أوفى بمصالح

الناس وحاجتهم في هذا العصر». [المدخل الفقهي، للزرقا، (٢٦٢/١)].

«وهنا يلزم الفقيه أو المفتي أو الباحث الشرعي أن يسبح سبحًا طويلاً في آفاق الفقه بمختلف مدارسه ومشاربه، ولا يقف عند الرأي السائد والشائع؛ فكم من آراء رشيدة مخبوءة في بطون الكتب لا يعلمها إلا القليلون، أو لعلها لا تعلم إلا بالبحث والتفتيش، وكم من آراء مهجورة تستحق أن تشهر، وآراء ضعفت في زمنها يجدر بها أن تقوى الآن، وكم من آراء أُهيل عليها التراب؛ لأنها لم تجد من ينصرها ويدافع عنها، أو لأنها كانت سابقة لزمنها فلعلها لم تكن صالحة لذلك الزمن، وهي صالحة لزمننا هذا.

ولعل أبرز مثال لذلك: آراء شيخ الإسلام ابن تيمية في الطلاق ونحوه؛ فقد رفضها أكثر أهل عصره، واتهموه من أجلها بتهم شتى، وحاكمه علماء وقته، ودخل السجن أكثر من مرة من أجل آرائه وفتاويه، ثم فاء في الأعصر الأخيرة طوائف من أهل العلم إلى فتاويه فأفتوا بها؛ لأنهم رأوا فيها إنقاذ الأسرة المسلمة من الانهيار بسبب كثرة إيقاع الطلاق، مع حرص الزوجين على بقاء العشرة.

ولو أردت أن أضرب مثلاً لذلك في موضوعنا، لوجدت أمثلة شتى.

ومن ذلك: ما يتعرض له كثير من الذين يهديهم الله للإسلام؛ فيدخلون في دين الله من الرجال والنساء ثم يتوفى آباؤهم أو أمهاتهم، وقد تركوا وراءهم تركات كثيرًا ما تكون كبيرة، فهل يسع المسلم والمسلمة أن يرث هذا المال من أبيه وأمه؟ والقوانين تجعل له الحق في الميراث وهو وأسرته في حاجة إليه، وإخوانه من المسلمين من حوله في حاجة إليه؟

إن الذي يكتفي بالمذاهب الأربعة المشهورة عند أهل السنة؛ بل الذي يقرأ المذاهب السبعة أو الثمانية (بزيادة مذهب الجعفرية والزيدية والإباضية والظاهرية) يجد أن اختلاف الدين مانع من موانع الميراث المشهورة، وهم يستندون في ذلك إلى الحديث المشهور: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم». [أخرجه: البخاري، (٦٧٦٤)، ومسلم، (١٦١٤)].

والحديث الآخر: «لا يتوارث أهل ملتين شتى». [أخرجه: أبو داود، (٢٩١١)، وابن ماجه، (٢٧٣١)]

ولكن من يبحث خارج المذاهب الأربعة يجد قولاً معتبرًا بجواز توريث المسلم من الكافر، وهو رأي قال به بعض الصحابة والتابعين؛ فقد روي عن معاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان من الصحابة، كما روي عن محمد ابن الحنفية، ومحمد بن علي بن الحسن، وسعيد بن المسيب، ومسروق بن الأجدع، وعبد الله بن مغفل، ويحيى بن يعمر، وإسحاق بن راهويه.

وقد رجح هذا الرأي شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم رحمهما الله، وهو ترجيح له وزنه وقيمته في عصرنا. [المستدرك على مجموع الفتاوى، لا بن تيمية، (١٢٩/٤)، أحكام أهل الذمة، لابن القيم، (٨٥٣/٢) وما بعدها].

وأول أصحاب هذا القول «الكافر» في حديث: «لا يرث المسلم الكافر». أن المراد الكافر الحربي، مثل حمل طائفة من العلماء حديث: «لا يقتل المسلم بكافر» [أخرجه: البخاري (١١١)]. على الكافر الحربي. قال ابن القيم: «وحمله على الحربي هنا أولى وأقرب محملاً [أحكام أهل الذمة، لابن القيم، (٨٥٥/٢)]». [في فقه الأقليات، د. يوسف القرضاوي، (ص٥٧-٥٨)].

فإن قيل: إن العمل في مسألة ما باجتهاد إمام وفي أخرى باجتهاد إمام آخر يعتبر تلفيقًا وهو ممنوع- فالجواب:

اتفق العلماء على أن التلفيق إذا أبطل إجماعًا فإنه لا يجوز، ثم اختلفوا فيما لو عمل في مسألة باجتهاد إمام وفي أخرى باجتهاد آخر، ورجح الجواز جمهور الفقهاء الذين لا يلزمون المقلد باتباع مذهب واحد في كل مسألة.

وجرى الخلاف بينهم في التلفيق بين قولين لمجتهدين مختلفين في مسألة واحدة، وذلك على ثلاثة مذاهب أساسية:

الأول: الجواز مطلقًا.
الثاني: المنع مطلقًا.
الثالث: الجواز بشروط.
وفيما يلي أدلة كل فريقٍ:
القائلون بالجواز مطلقا:
استدل القائلون بالجواز بأدلة، منها: أن الأصل جوازه ما لم يثبت منعه بدليل شرعي من كتاب أو سنة أو إجماع، ولم يوجد، كما أن الحال في عهد أوائل الأمة كان على ذلك، حيث عمل العامة بالتلفيق من لدن الصحابة فمن بعدهم، وذلك من غير نكير، وقد ذهب إلى جوازه طائفة من علماء المذاهب أنفسهم، يقول الشيخ مرعي الحنبلي في رسالة في جواز التلفيق للعوام: «... والذي أذهب إليه وأختاره القول بجواز التقليد في التلفيق، لا بقصد تتبع ذلك لأن من تتبع الرخص فسق، بل حيث وقع ذلك اتفاقًا، خصوصًا من العوام الذين لا يسعهم غير ذلك... ولا يسع الناس غير هذا، ويؤيده أنه في عصر الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ومع كثرة مذاهبهم وتباينهم- لم ينقل عن أحد منهم أنه قال لمن استفتاه: الواجب عليك أن تراعي أحكام مذهب من قلدته؛ لئلا تلفق في عبارتك بين مذهبين فأكثر، بل كل من سئل منهم عن مسألة أفتى السائل بما يراه، مجيزًا له العمل من غير فحص ولا تفصيل، ولو كان ذلك لازمًا لما أهملوه خصوصًا مع كثرة تباين أقوالهم». [تجريد زوائد الغاية والشرح، لحسن الشطي (١/٦٩٩-٦٧١)].
وقال الدسوقي المالكي في حواشيه على (شرح خليل) في بحث الفتوى من خطبة الكتاب: وفي كتاب الشبراخيتي (امتناع التلفيق) والذي سمعناه من شيخنا نقلاً عن شيخه الصغير وغيره أن الصحيح جوازه وهو فسحة.
قال الدسوقي: وبالجملة ففي التلفيق في العبادة الواحدة من مذهبين طريقتان:
المنع: وهو طريقة المصاروة.
والجواز: وهو طريقة المغاربة ورجحت». [حاشية الدسوقي، (١/٢٠)].
وقال ابن الهمام في فتح القدير في كتاب أدب القاضي: المقلد له أن يقلد أي مجتهد شاء.
ثم قال: «وأنا لا أدري ما يمنع هذا (أي: تتبع الرخص وأخذ العامي في كل مسألة بقول مجتهد أخف عليه) من النقل أو العقل، وكون الإنسان يتبع ما هو أخف على نفسه من قول مجتهد مسوغ له الاجتهاد، ما علمت من الشرع ذمه عليه، وكان صلى الله عليه وسلم يحب ما خفف عن أمته». [شرح فتح القدير، لابن الهمام، (٧/٢٥٨)].
كما نقل مثل هذا عن ابن نجيم المصري الحنفي وغيره، وقد صلى أبو يوسف خلف هارون الرشيد بعد أن احتجم ولم يتوضأ عملاً بمذهب مالك، وأخذ أبو يوسف بقول أهل المدينة، حين أُعلم أنه صلى بعد أن اغتسل من ماء بئر فيه فأرة ميتة، فقال: نأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثًا».
ثانيًا: القائلون بالمنع مطلقًا:
١- التلفيق يؤدي إلى التلاعب بأمور الدين وأحكام الشرع؛ لكونه يؤدي إلى تتبع الرخص والأخذ بما هو أيسر من المذاهب، وهذا لا يجوز.
وقد أثر عن الإمام أحمد قوله: «لو أن رجلاً عمل بقول أهل الكوفة في النبيذ، وأهل المدينة في السماع، وأهل مكة في المتعة كان فاسقًا» [المسودة، لآل تيمية، (ص٥١٩)].
٢- إن الأخذ بالتلفيق يلزم منه احتمال الوقوع في خلاف المجمع عليه؛ لأنه ربما يكون المجموع الذي عمل به ولفقه مما لم يقل به أحد فيكون باطلاً. [الكشف والتدقيق لشرح غاية التحقيق في منع التلفيق، للسيوطي،(ص٧) وما بعدها، وشرح الكوكب المنير، لابن النجار، (٤/٥٧٧) وما بعدها، وإرشاد الفحول، للشوكاني، (٢/١١٠٦-١١٠٩)].
ونوقش هذا بأن هذا مردود؛ لأنه لا ملازمة بين هذا وبين التلفيق، فالتلفيق يمكن أن يكون دون تتبع الرخص؛ لأن الملفق إنما يعمل بما هو أليق وأرفق لحاله، وهذا يساير ما قصده الشرع الحكيم من التخفيف والتيسير. [المراجع السابقة، وقواعد في علم الفقه، للكيرواني، (ص٢٩٠) وما بعدها].
وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الأمثال في القرآن

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحلقة الرابعة



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدُ:

ففي هذا المقال نتحدث عن المثل الثالث في القرآن، وهو من سورة البقرة من الآية السادسة والعشرين، وهي قوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ» [البقرة: ٢٦].

التفسير المفصل

ذكر ابن كثير نقلاً عن السدي في تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من الصحابة لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعني قوله تعالى: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا» [البقرة: ١٧]، وقوله: «أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ» [البقرة: ١٩] الآيات الثلاث، قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية إلى قوله تعالى: «هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ» [البقرة: ٢٧]، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يُذْكَران؟! فأنزل الله: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا» [البقرة: ٢٦].

قوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا» [البقرة: ٢٦]، أي: لا يمنعه الحياء من أن يضرب مثلاً حقيرًا ما دام يثبت به الحق، فالعبرة بالغاية.

أما قوله: «أن يضرب مثلاً» فإن معناه: يبين، وفيه قوله سبحانه: «وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ» [إبراهيم: ٢٥]، «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ» [الروم: ٥٨].

والضرب في اللغة على وجوه: فمنها التبيين، ومنها النوع، تقول العرب أخذ فلان في ضرب من الكلام، أي: نوع منه، ومنها السير، قال الله تعالى: «وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ» [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى: «وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ» [النساء: ١٠١]، ومنها الرجل الخفيف اللحم [قال طرفة]:

أنا الرجال الضربُ الذي تعرفونه
خشاش لرأس الحية المتوقد

ومنها الضرب المعروف باليد وغيرها، قال الله تعالى لأيوب: «وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ» [ص: ٤٤]، والعرب تقول: ضربت الذكر عن فلان صفحًا إذا لم تذكره، ومنها الإلزام نحو قوله تعالى: «وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ» [البقرة: ٦١].

«مثلاً»: الأمثال في اللغة: الأشباه والنظائر والصفات.

و«ما» يقولون: إنها نكرة واصفة. أي: مثلاً أي مثل.

«بعوضة»: عطف بيان لـ (ما) أي: مثلاً بعوضة، والبعوض صغار البق، الواحدة بعوضة، سُميت بذلك لصغرها، قاله الجوهري وغيره، وهو من عجيب خلق الله في غاية الصغر شديد اللسع. [قاله صديق حسن خان في فتح البيان].

قوله تعالى: «فما فوقها»: هل المراد بما فوق- أي فما فوقها في الحقارة، فيكون المعنى أدنى

من البعوضة، أو فما فوقها في الارتفاع، فيكون المراد ما هو أعلى من البعوضة؟

الجواب: يمكن أن يكون معنى الآية: «فما فوقها» أي فما دونها؛ لأن الفوقية تكون للأولى وللأعلى، كما أن الوراء تكون للأمام وللخلف، كما في قوله تعالى: «وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا» [الكهف: ٧٩] أي: كان أمامهم.

قوله تعالى: «فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ» [البقرة: ٢٦] أي: المثل الذي ضربه الله، «الحق من ربهم»، ويؤمنون به، ويرون أن فيه آيات بينات.

قوله تعالى: «وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا» [البقرة: ٢٦] لأنه لم يتبين لهم الحق لإعراضهم عنه.

قوله تعالى: «ماذا»: «ما» هنا اسم استفهام مبتدأ، و«ذا» اسم موصول بمعنى «الذي» خبر المبتدأ- أي: ما الذي أراد الله بهذا مثلا.

قوله تعالى: «يضل به كثيرًا»: الجملة استئنافية لبيان الحكمة من ضرب المثل بالشيء الحقير، ولهذا ينبغي الوقوف على قوله تعالى: «مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا» [البقرة: ٢٦]، و«يضل به» أي: بالمثل، «كثيرًا» أي من الناس. وقال صديق حسن خان: «يُضل به كثيرًا» أي من الكفار، وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا، «ويهدي به كثيرًا» يعني المؤمنين يصدقون ويعلمون أنه الحق.

قوله تعالى: «وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ» [البقرة: ٢٦] المراد به هذه الآية الكفر.

التفسير الإجمالي:

قال ابن القيم رحمه الله: وهنا جواب اعتراض اعترض به الكفار على القرآن، وقالوا: إن الرب أعظم من أن يذكر الذباب والعنكبوت ونحوها من الحيوانات الخسيسة، فأجابهم سبحانه وتعالى بأن قال: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا» [البقرة: ٢٦]، فإن ضرب الأمثال بالبعوضة فما فوقها، إذا تضمن تحقيق الحق وإيضاحه، وإبطال الباطل وإدحاضه كان من أحسن الأشياء، والحسن لا يُستحيا منه، فهذا جواب الاعتراض، فكأن معترضًا اعترض على هذا الجواب أو طلب حكمة ذلك، فأخبر سبحانه وتعالى عما له في ضرب تلك الأمثال من الحكمة، وهي إضلال من شاء وهداية من شاء.

ثم كأن سائلاً سأل عن حكمة الإضلال لمن يُضله بذلك فأخبر سبحانه وتعالى عن حكمته وعدله، وأنه إنما يضل به الفاسق: «ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ» [البقرة: ٢٧]، فكانت أعمالهم القبيحة التي ارتكبوها سببًا لأن أضلهم وأعماهم عن الهدى. [بدائع الفوائد ٤/١٥٤٩].

الفوائد:

١- من فوائد الآية: إثبات الحياء لله عز وجل لقوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا» [البقرة: ٢٦]، ووجه الدلالة أن نفي الاستحياء عن الله في هذه الحال دليل على ثبوته فيما يقابلها، وقد جاء ذلك في السنة، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا» رواه أبو داود وصححه الألباني.

والحياء الثابت لله ليس كحياء المخلوق، لأن حياء المخلوق انكسار من الشيء الذي يستحيا منه، وهو صفة ضعف ونقص إذا حصل في غير حاجة.

٢- ومن فوائد الآية: أن الله تعالى يضرب الأمثال ؛ لأن الأمثال أمر محسوس يستدل بها على الأمور المعقولة، انظر إلى قوله تعالى: «مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا» [العنكبوت: ٤١]، وهذا البيت لا يقيها من حر، ولا برد ولا مطر ولا رياح، «وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ» [العنكبوت: ٤١]، وقال تعالى: «وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ» [الرعد: ١٤]، إنسان بسط كفيه إلى غدير مثلاً، أو نهر يريد أن يصل الماء إلى

فمه هذا لا يمكن، هؤلاء الذين يمدون أيديهم إلى الأصنام، كالذي يمد يديه إلى النهر ليبلغ فاه، فالأمثال لا شك أنها تقرّب المعاني إلى الإنسان، إما لفهم المعنى، وإما لحكمتها، وبيان وجه هذا المثل.

٣- ومن فوائد الآية: أن البعوضة من أحقر المخلوقات؛ لقوله تعالى: «بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا» [البقرة: ٢٦]، ومع كونها من أحقر المخلوقات فإنها تقضّ مضاجع الجبابرة، وربما تُهلك، ولو سُلطت على الإنسان لأهلكته، وهي هذه الحشرة الصغيرة المهينة.

٤- ومنها: رحمة الله بعباده؛ حيث يقرر لهم المعاني المعقولة بضد الأمثال المحسوسة لتتقرر المعاني في عقولهم.

٥- ومنها: أن القياس حجة؛ لأن كل مثل ضربه الله في القرآن الكريم، فهو دليل على ثبوت القياس.

٦- ومنها فضيلة الإيمان، وأن المؤمن لا يمكن أن يعارض ما أنزل الله عز وجل بعقله، لقوله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ» [البقرة: ٢٦]، ولا يعترضون، ولا يقولون: لم؟ ولا: كيف؟ وإنما يقولون: سمعنا وأطعنا، وصدقنا، لأنهم يؤمنون بأن الله عز وجل له الحكمة البالغة فيما شرع، وفيما يقدر.

٧- ومنها إثبات الربوبية الخاصة؛ لقوله تعالى: «من ربهم» واعلم أن ربوبية الله تعالى تنقسم إلى قسمين: عامة وخاصة، فالعامة هي الشاملة لجميع الخلق، وتقتضي التصرف المطلق في العباد، والخاصة هي التي تختص بمن أضيفت له، وتقتضي عناية خاصة، وقد اجتمعتا في قوله تعالى: «قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ» [الأعراف: ١٢١]، فالأولى ربوبية عامة والثانية خاصة، بموسى وهارون، كما أن مقابل ذلك «العبودية» تنقسم إلى عبودية عامة، كما في قوله تعالى: «إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا» [مريم: ٩٣]، وخاصة كما في قوله تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ» [الفرقان: ١]، والفرق بينهما أن العامة هي الخضوع للأمر الكوني، والخاصة هي الخضوع للأمر الشرعي، وعلى هذا فالكافر عبدٌ لله بالعبودية العامة، والمؤمن عبدٌ لله بالعبودية العامة والخاصة.

٨- ومن فوائد الآية: أن ديدن الكافرين الاعتراض على حكم الله ؛ لقوله تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا» [البقرة: ٢٦]، وكل من اعترض ولو على جزء من الشريعة ففيه شَبَه بالكفار، فمثلاً لو قال قائل: لماذا ينتقض الوضوء بأكل لحم الإبل، ولا ينتقض بأكل لحم الخنزير إذا جاز أكله للضرورة، مع أن الخنزير خبيث نجس؟!

فالجواب: أن هذا اعتراض على حكم الله عز وجل، وهو دليل على نقص الإيمان، لأن لازم الإيمان التام التسليم التام لحكم الله عز وجل إلا أن يقول ذلك على سبيل الاسترشاد والاطلاع على الحكمة، فهذا لا بأس به.

٩- ومن فوائد الآية: أن لفظ (الكثير) لا يدل على الأكثر لقوله تعالى: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا» [البقرة: ٢٦]، فلو أخذنا بظاهر الآية لكان الضالون والمهتدون سواء، وليس كذلك ؛ لأن بني آدم تسعمائة وتسعة من الألف ضالون، وواحد من الألف مهتد، فكلمة (كثير) لا تعني الأكثر، وعلى هذا لو قال إنسان: عندي لك دراهم كثيرة، وأعطاه ثلاثة لم يلزمه غيرها؛ لأن «كثير» يطلق على القليل وعلى الأكثر.

١٠- ومن فوائد الآية: أن إضلال من ضل ليس لمجرد المشيئة، بل لوجود العلة التي كانت سببًا في إضلال الله ذلك العبد؛ لقوله تعالى: «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» [البقرة: ٢٦]، وهذا كقوله تعالى: «فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» [الصف: ٥].

١١- ومنها الرد على القدرية الذين قالوا: إن العبد مستقل بعمله لا علاقة لإرادة الله تعالى به؛ لقوله تعالى: «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» [البقرة: ٢٦].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فتاوى

التبرك بالعلماء والصالحين وآثارهم

هناك من يرى جواز التبرك بالعلماء والصالحين وآثارهم مستدلاً بما ثبت من تبرك الصحابة - رضي الله عنهم - بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فما حكم ذلك ؟ ثم أليس فيه تشبيه لغير النبي صلى الله عليه وسلم بالنبي صلى الله عليه وسلم ؟ وهل يمكن التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته؟ وما حكم التوسل إلى الله تعالى ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ؟

الجواب: الحمد لله ، لا يجوز التبرك بأحد غير النبي صلى الله عليه وسلم لا بوضوئه ولا بشعره ولا بعرقه ولا بشيء من جسده ، بل كل هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لما جعل الله في جسده وما مسه من الخير والبركة .

ولهذا لم يتبرك الصحابة - رضي الله عنهم - بأحد منهم لا في حياته ولا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا مع الخلفاء الراشدين ولا مع غيرهم فدل ذلك على أنهم قد عرفوا أن ذلك خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره ، ولأن ذلك وسيلة إلى الشرك وعبادة غير الله سبحانه ، وهكذا لا يجوز التوسل إلى الله سبحانه بجاه النبي صلى الله عليه وسلم أو ذاته أو صفته أو بركته لعدم الدليل على ذلك ؛ ولأن ذلك من وسائل الشرك به والغلو فيه عليه الصلاة والسلام .

ولأن ذلك أيضاً لم يفعله أصحابه - رضي الله عنهم - ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، ولأن ذلك خلاف الأدلة الشرعية . فقد قال الله عز وجل : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) الأعراف/١٨٠ . ولم يأمر بدعائه سبحانه بجاه أحد أو حق أحد أو بركة أحد .

ويلحق بأسمائه سبحانه التوسل بصفاته كعزته ، ورحمته ، وكلامه وغير ذلك ، ومن ذلك ما جاء في الأحاديث الصحيحة من التعوذ بكلمات الله التامات ، والتعوذ بعزة الله وقدرته .

ويلحق بذلك أيضاً : التوسل بمحبة الله سبحانه ، ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبالإيمان بالله وبرسوله والتوسل بالأعمال الصالحات كما في قصة أصحاب الغار الذين آواهم المبيت والمطر إلى غار فدخلوا فيه فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار ، ولم يستطيعوا دفعها ، فتذاكروا بينهم في وسيلة الخلاص منها ..

واتفقوا بينهم على أنه لن ينجيهم منها إلا أن يدعوا الله بصالح أعمالهم ، فتوسل أحدهم إلى الله سبحانه في ذلك : ببر والديه .. فانفرجت الصخرة شيئاً لا يستطيعون الخروج منه .. ثم توسل الثاني بعفته عن الزنا بعد القدرة عليه ، فانفرجت الصخرة بعض الشيء لكنهم لا يستطيعون الخروج من ذلك .. ثم توسل الثالث بأداء الأمانة فانفرجت الصخرة وخرجوا .



وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار من قبلنا لما فيه من العظة لنا والتذكير .

وقد صرح العلماء - رحمهم الله - بما ذكرته في هذا الجواب .. كشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، والشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد وغيرهم ، وأما حديث توسل

الأعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته فشفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له فرد الله عليه بصره .. فهذا توسل بدعاء النبي وشفاعته وليس ذلك بجاهه وحقه كما هو واضح في الحديث .. وكما يتشفع الناس به يوم القيامة في القضاء بينهم . وكما يتشفع به يوم القيامة أهل الجنة في دخولهم الجنة . وكل هذا توسل به في حياته الدنيوية والأخروية . . وهو توسل بدعائه وشفاعته لا بذاته وحقه كما صرح بذلك أهل العلم . ومنهم من ذكرنا آنفاً .

[كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - م/٧ . ص/٦٥].

أين تدفن الأعضاء المبتورة ؟

ما حكم بتر جزء معين من الإنسان زائد . كبتر الأصبع أو غيرها . هل ترمى مع النفايات . أو تجمع ويكلف شخص بدفنها بمقابر المسلمين ؟

الجواب: الحمد لله. الأمر واسع فليس لها حكم الإنسان ؛ ولا مانع من أن توضع في النفاية أو تدفن في الأرض احتراماً لها فهذا أفضل . وإلا فالأمر واسع والحمد لله كما قلنا فلا يجب غسله ولا دفنه إلا إذا كان جنيناً أكمل أربعة أشهر . أما ما كان لحمة لم ينفخ فيها الروح أو قطعة من أصبع أو نحو ذلك فالأمر واسع . لكن دفنه في أرض طيبة يكون أحسن وأفضل .

[كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله . م/٩ ص ٤٣٦].

حكم لعن الأبناء والزوجة ، وهل يعد لعنها طلاقاً ؟

ما حكم من يلعن زوجته أو بعض أبنائه ؟
وهل يعد لعن المرأة طلاقاً أم لا ؟

الجواب: الحمد لله. لعن المرأة لا يجوز وليس بطلاقاً لها . بل هي باقية في عصمته وعليه التوبة إلى الله من ذلك واستسماحه لها من سبه إياها . وهكذا لا يجوز لعنه لأبنائه ولا غيرهم من المسلمين لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) متفق على صحته . وقوله عليه الصلاة والسلام : (لعن المؤمن كقتله) خرجه البخاري في صحيحه .

وهذان الحديثان الصحيحان يدلان على أن لعن المسلم لأخيه من كبائر الذنوب فالواجب الحذر من ذلك . وحفظ اللسان من هذه الجريمة الشنيعة .

[كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله . م/٨ ص ٣٩٨].

وقت صلاة العشاء

البعض يقول أنه يمكن صلاة العشاء حتى أذان الفجر بينما يقول آخرون أنها ينتهي وقتها عند صلاة التهجد والبعض الآخر يقول أنه تحسب الساعات من أذان العشاء حتى أذان الفجر ونقسم على اثنين لتحديد آخر وقت العشاء فما هو الحكم في ذلك ؟

علماً بأن تأخير الصلاة عن وقتها غير مستحب وإنما نريد أن نستفيد من معرفة الحكم.

الجواب: الحمد لله. الواجب أن تكون صلاة العشاء قبل نِصْفِ اللَّيل . ولا يجوز تأخيرها إلى نصف الليل . لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (وَقْتُ العِشاء إلى نصف الليل) رواه مسلم (المساجد ومواضع الصلاة/٩٦٤) . فعليك أن تُصَلِّيها قبل نصف الليل على حساب دورات الفَلَكْ . فإنّ الليل يَزيد ويَنْقُص . والضَابط هو نصف الليل بالساعات . فإذا كان الليل عشر ساعات . لم يَجُزْ أنْ تُؤَخرها إلى نهاية الساعة الخامسة . وأفضل ما يكون أن تكون في ثلث الليل الأول . ومن صلاها في أول الوقت فلا بأس لكن إذا أخّرت بعض الوقت فهو الأفضل . لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يَسْتَحِبُّ أن يُؤَخِّر صلاة العشاء بعض الوقت ومن صلاها أول الوقت . بعد غروب الشفق - وهو الحُمْرَة التي في الأُفُق الطولي - فلا بأس . والله أعلم .

[مجموعة فتاوى الشيخ عبد العزيز ابن باز ١٠/٣٨٦].

هل أجر ترميم المساجد مثل أجر بنائها؟

ما حكم ترميم المساجد وهل أجر الترميم مثل أجر البناء ؟

الجواب: الحمد لله. عرض هذا السؤال على الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله فقال :



ترميم المساجد على ثلاثة أقسام:

الأول: ترميم كمالي، لا حاجة إليه فهذا أخشى أن يكون المرمم إلى الإثم أقرب منه إلى السلامة؛ لأنه إذا كان لا حاجة إليه وإنما المقصود منه تجميل المسجد صار فيه إضاعة للمال بلا فائدة والمال الذي تنفقه على هذا الترميم أنفقه في مساجد أخرى ينتفع الناس بها.

الثاني: ترميم دعت الحاجة إليه دون الضرورة، مثل أن يكون البلاط قد تقشع، أو التلبيس قد تقشع ولكن المسجد قائم فهذا يُؤجر عليه الإنسان؛ لأن فيه تنظيفاً للمسجد وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتُطيب.

الثالث: ترميم دعت إليه الضرورة كتصدع الجدران في مساجد الطين، وتصدع الجسور في مساجد المسلح، وما أشبه ذلك فهذا يُعطى حكم بنائها لأن ترميمها ضروري. [فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله].

هل يجوز إعطاء غير المسلمين كتبا تشمل على آيات من القرآن؟

السؤال: هل يجوز لي أن أضع بين يدي النصارى كتباً تشمل عل آيات كريمة تثبت وحدانية الله تعالى مكتوبة باللغة العربية، ومترجمة معانيها إلى الإنجليزية؟

الجواب: الحمد لله، نعم يجوز أن تضع بين أيديهم كتباً تشمل على آيات من القرآن للاستدلال بها على الأحكام: التوحيد وغيره، سواء كانت باللغة العربية أو مترجماً معناها، بل تُشكر على ذلك؛ لأن وضعها أمامهم أو إعارتهم لهم ليطلعوا عليها نوع من أنواع البلاغ والدعوة إلى الله، وفاعله مأجور إذا أخلص في ذلك. [من فتاوى اللجنة الدائمة ١٢/ ٢٥١].

النصح في الوجه

ما حكم من تكلم في وجه شخص وأخبره بعيوبه وهو يسمع، هل هو جائز؟

الجواب: يجوز إذا كان على وجه النصح له والإنكار عليه؛ ليرتدع عن المعصية، ويكون بأسلوب حسن حتى يتقبل النصح، أما إذا كان على وجه الشماتة أو التعيير والإساءة، أو التشهير به ونحو ذلك فلا يجوز. [من فتاوى اللجنة الدائمة ١٢ / ٣٤٢].

حكم لبس الملابس التي فيها صور

السؤال: ما حكم لبس الثياب التي فيها صور؟

الحمد لله، لا يجوز للإنسان أن يلبس ثياباً فيها صورة حيوان أو إنسان ولا يجوز أيضاً أن يلبس غترة أو شماغاً أو ما أشبه ذلك وفيه صورة إنسان أو حيوان وذلك لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثبت عنه أنه قال: (إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة) ولهذا لا نرى لأحد أن يقتني الصور للذكرى كما يقولون وأن من عنده صوراً للذكرى فإن الواجب عليه أن يتلفها، سواء كان قد وضعها على الجدار أو وضعها في ألبوم أو في غير ذلك لأن بقاءها يقتضي حرمان أهل البيت من دخول الملائكة بينهم وهذا الحديث الذي أشرت إليه قد صح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. والله أعلم. [من فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين لمجلة الدعوة العدد ١٧٦٥ / ٥٤].

هل من البدع اجتماع الدعاة وطلبة العلم يوم الجمعة للتعارف والتدارس؟

اتفق الدعاة في المنطقة على أن يجتمعوا في كل أسبوع ليلة، للمحاضرة والتعارف والندوات والتدريس والدعوة، واختاروا ليلة الجمعة لهذا الاجتماع، البعيدون منهم والقريبون، وأن يأتي كل واحد منهم بما يكفيه من الطعام في هذه الليلة، هل هذا بدعة يرجع إلى تخصيص ليلة الجمعة بعبادة كما قال هذا العالم أم لا؟ مع أنهم لم يريدوا ليلة الجمعة إلا توقيتاً للاجتماع فقط لا للعبادة، أنا فيما يبدو لي أدافع عن الدعاة، وأرى أن الاجتماع والتعارف فيما بينهم أمر هام يكون سبباً لتسوية صفوف الدعاة والتقدم للدعوة، ما هي الحقيقة في هذه المسألة؟

الجواب: لا حرج في اجتماع الدعاة ليلة الجمعة من كل أسبوع للمحاضرات والتعارف والتدريس وليس ذلك من تخصيص ليلة الجمعة بعبادة. [من فتاوى اللجنة الدائمة ٢٥٨/١٣].



من أخبار الجماعة

إنه في يوم السبت ١٠ من جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠/٤/٢٠١٣م عقب صلاة الظهر انعقدت الجمعية العمومية العادية بالمركز العام، برئاسة الدكتور/ عبد الله شاكر الجنيدي، وأمانة الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد، وأعضاء مجلس إدارة المركز العام ، وحضور عدد ١٨٢ فرعًا من إجمالي فروع الجماعة وعددهم ٢٨١ فرعًا، وذلك لمناقشة ميزانية ٢٠١٢م، واختيار أعضاء مجلس الإدارة.

وقد تم -بفضل الله تعالى- اعتماد الميزانية العمومية لعام ٢٠١٢م واختيار مجلس الإدارة على النحو التالي:

١- د/ عبد الله شاكر الجنيدي	رئيسًا عامًا للجماعة
٢- د/ عبد العظيم بدوي محمد	نائبًا للرئيس العام، ورئيسًا لمجلس العلماء ، ومشرفًا عامًا على المجلة
٣- الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد	أمينًا عامًا للجماعة
٤- الشيخ/ محمد عاطف التاجوري	أمينًا للصندوق ومديرًا للإدارة المالية
٥- الشيخ/ فتحي أمين عثمان	مديرًا لإدارة التراث والمكتبات
٦- الشيخ أبو العطا عبد القادر محمود	مديرًا لشئون العاملين
٧- الشيخ/ أسامة علي سليمان	مديرًا لإدارة المشروعات
٨- الشيخ/ معاوية محمد هيكل	مديرًا لإدارة الأيتام والتكافل الاجتماعي
٩- الشيخ/ محمد رزق ساطور	مديرًا لإدارة الفروع
١٠- الشيخ/ أيمن إبراهيم خليل	مديرًا لإدارتي (الشئون القانونية والأملاك) و(التخطيط والمتابعة)
١١- الشيخ/ جمال عبد الرحمن إسماعيل	مديرًا لإدارة التعليم والمعاهد
١٢- الشيخ/ عادل السيد عبد السلام	مديرًا لإدارة الدعوة
١٣- الشيخ/ إبراهيم محمد سليمان	مديرًا لإدارة البحث العلمي
١٤- الشيخ/ مرزوق محمد مرزوق	مديرًا للعلاقات العامة
١٥- الشيخ/ مصطفى محمد علي البصراتي	مديرًا لشئون القرآن

نسأل الله التوفيق والسداد للجميع

دعوة عامة

في إطار النهوض بالدعوة والتصدي للأفكار المنحرفة والباطلة، يقيم المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة، الملتقى الأول حول تحصين الأمة من فتنة التشيع.

وذلك يوم السبت ٨ رجب ١٤٣٤هـ الموافق ١٨/٥/٢٠١٣م بعد صلاة العشاء بميدان عابدين بالقاهرة.

يحاضر في هذا الملتقى كل من:

أ.د. محمود مزروعة، العميد الأسبق لكلية أصول الدين بالأزهر الشريف.

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي، الرئيس العام للجماعة.

د. جمال المراكبي، الرئيس السابق للجماعة.

د. عبد العظيم بدوي، نائب الرئيس العام.

ويدير اللقاء الدكتور حمدي عبيد، الأمين العام للهيئة العالمية للسنة النبوية.